



مراجعة كتابات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

ذو الحجة 1439 هـ - أغسطس 2018م

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الأطروحات التي أنجزها العُمانيون في الخارج رسالة دكتوراه بعنوان «نمذجة السيول العارمة في أودية عمان»، قدّمها الدكتور غازي بن علي الرواس لجامعة كاليفورنيا في كندا سنة ٢٠٠٩.

يذكر الباحث في ملخص دراسته أنّ عُمان من البلدان التي تقع في منطقة قاحلة مُعرّضة للفيضانات. وتُظهر السجلات أن السيول العارمة وقّعت في عُمان في الأعوام ١٩٨٩ و ١٩٩٧ و ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ و ٢٠٠٥ و ٢٠٠٧. كما أنّ الدراسات المعنوية بالفيضانات الكبرى قليل منها قد ركّز على قضية الفيضانات في المناطق القاحلة. ونتيجة لذلك، فإنّه غطي في بحثه هذا الفجوة المعرفية حول السيول العارمة التي أثرت على الأودية العُمانية. وقد تبيّن للباحث من خلال مراجعة الفجوات البحثية أنّ العواصف الممطرة، وخصائص مُستجمعات المياه، هي أكثر العوامل المتعلقة بدراسات الفيضانات الحضرية في بيئة قاحلة مثل عُمان.

وسعى الباحث بشكلٍ أساسي في دراسته إلى تحسين التنبؤ بالفيضانات الكبرى؛ من خلال توفير معلومات جديدة، وفهم أفضل للعمليات الهيدرولوجية، التي تتحكم في هذه الفيضانات في عُمان. وقد شمل ذلك تطوير مُنحنيات توزيع أوقات العواصف الممطرة، وهي فريدة من نوعها لهذا الصنف من الدراسات، كما شمل دراسة العلاقة بين خصائص مُستجمعات المياه القاحلة -بما في ذلك التحضر- وتدفق فيضانات الأودية في عمان، وتحليلها وتطويرها.

واستخدم الباحث البيانات المستمدة من حوالي ٢٠٤٢ عاصفة ممطرة في مُستجمعات المياه في الرستاق لتطوير مُنحنيات التوزيع الزمني للأمطار الغزيرة المميزة للمناخات القاحلة. كما تحقّق من تأثيرات التضاريس في هطول الأمطار عن طريق فصل البيانات إلى منطقتين: جبلية وساحلية، وطوّر منحنيات خطوط تساوي المطر لكلا المنطقتين. وقد وجد أنّ منحنيات كلا المنطقتين مُتشابهة، وتظهر كثافة عالية جدًا في بداية العاصفة، وهي سمة معروفة للعواصف في المناطق القاحلة. وقد قارن الباحث التوزيعات الجديدة بالتوزيعات القياسية الأخرى المستمدة من مناطق أخرى في كندا والولايات المتحدة الأمريكية. وإضافة لذلك، طوّر منحنيات لمنطقة ذات مناخ مائل في ألبيرتا جنوب كندا، ووجد أنّ أكبر تشابه كان بين عُمان وكاليفورنيا، ولكن كانت هناك كثافة أعلى بكثير للعواصف في منحنيات عُمان.

ودرس الباحث أيضًا العلاقات بين خصائص ١٢ مُستجمعا للمياه ومتوسط قيم الفيضانات بالأودية في شمال عُمان. وتوضّل إلى أنّ منطقة الصرف، ومنحدر الوادي، ومتوسط ارتفاع مُستجمعات المياه، والمناطق الزراعية، هي المتغيرات الرئيسية التي تُؤثر على تدفقات الفيضانات، وأنّ مُستجمعات المياه الكبرى مصحوبة بمنحدرات أودية عالية، وارتفاعات أدنى، ومزارع أقل، تميل إلى ارتفاع في متوسط تدفق ذروة التفريغ. وخلافاً للدراسات السابقة، أظهر هذا البحث أنّ منطقة الصرف ترتبط ارتباطًا إيجابيًا بمعدّلات تفريغ ذروة الفيضانات. ويؤكّد الباحث أنه درس أيضًا التوسّع الحضري السريع في مُستجمعات مياه وادي عدي في عُمان، وتأثير ذلك على الوادي من حيث توليد ذروة التدفق وتكرار الفيضانات.



● مملكة الخوف
● مارثا نوسباوم

● النظام العالمي الحديث
● مجموعة من المؤلفين

● حرب الذكاء
● الدكتور لوران ألكسندر

● الذهب الأسود
● لوتشانو فاسابوللو

● الثقة بالنفس
● بيرينستر شارما

● داعش: أقوال الهاربين
● توماس داندوا، وفرانسوا تريخان

● الرأسمالية
● كيه. إيه

● ممنوع لا يوجد حدود
● تأليف جماعي

● هشاشة الاهتمام
● إستيلا فيراريز

● عن الإستراتيجية الكبرى
● جون لويس جاديز

إصدارات عالمية جديدة



من الصفحة 22 إلى 23



«حرب الذكاء: الذكاء الاصطناعي مقابل الذكاء البشري».. للوران ألكسندر

محمد الحدّاد *

إذا افترضنا أنّ القارئ سيمضي دقيقة واحدة للاطلاع السريع على هذا المقال، فإنّه عند نهاية القراءة سيكون قد حصل ما يلي في العالم: ١٥٦ مليون رسالة إلكترونية قد أرسلت على مختلف مواقع التواصل الافتراضي، و ٤٥٢ ألف تغريدة على تويتر، وأكثر من أربعة ملايين فيديو على «يوتوب»، و ١,٨ مليون سناب على «سنابشات»، و ٣,٥ مليون طلب بحث على جوجل!.. وانطلاقاً من هذه المعطيات الواردة في كتاب لوران ألكسندر، يمكن للقارئ أن يستعمل حاسوبه لتقدير نسبة المبادلات التي تحصل على الشبكات الاتصاليّة، ويقارن ذلك بنشاطه الذهني الشخصي، ليدرك حجم الهوة التي تفصل الذكاء البشري عن الذكاء الاصطناعي، ويخفّف من قناعته بأنّ الآلة -وبالأحرى الذكاء الاصطناعي- مسخّر لخدمته.

يمكن أن نختزل أطروحة هذا الكتاب في جملتين مثيرتين وخطيرتين في الآن ذاته: لأوّل مرّة في التاريخ، تغلّب الذكاء الصناعي على الذكاء البشري، وأصبح الإنسان خادماً للآلة، بعد أن كانت الآلة في خدمته. وللعلم، فإنّ مؤلف الكتاب هو طبيب جراح وخبير في التكنولوجيات الحديثة، وهو مؤسس موقع «دوكتيسيمو» -أشهر المواقع الطبية الموجهة لعامة الناس باللغة الفرنسية- إضافة إلى أنه يسهم باستمرار بمقالات علمية في الصحيفة الفرنسية المشهورة «لوموند». ومن وجهة نظر الكاتب، فإنّ العالم قد شهد في القرنين الأخيرين ثلاث ثورات تكنولوجية واقتصادية؛ امتدّت الأولى من سنة ١٧٧٠ إلى ١٨٥٠ وارتبطت بالآلة البخارية والسكك الحديدية، وامتدّت الثانية من سنة ١٨٧٠ إلى ١٩١٠ وقد شهدت اختراع الطائرة والسيارة والكهرباء والهاتف. أمّا الثالثة، والتي نعيشها اليوم، فقد بدأت مع مطلع الألفية، وارتبطت بالإعلاميّة والبيوتكنولوجيا والنانو-تكنولوجيا (النانومتر هو واحد على مليار من المتر).

توفير عيون أو قلوب اصطناعية تستبدل بها الأعضاء المصابة، فإنّ ذلك لن يثور الطب فحسب، لكنّه سيثور تصوّرنا للطبيعة البشريّة، عندما تصبح أعضاؤنا الأكثر تعقيداً قابلة للاستبدال مثل القطع الميكانيكية لسياراتنا أو أجهزتنا المنزلية. وعلينا أن نتذكّر أن ما كان يبدو بعيد المنال ومن صنف «الخيال العلمي» قبل عشرين سنة، أصبح اليوم بديهياً في حياتنا.

وفي مجال الطب، يتوقّع صاحب الكتاب أن تتغيّر الوظائف مستقبلًا؛ فالطبيب الحقيقي سيصبح آلة، أمّا الطبيب البشري فيسكون مستقبلًا في وضع المرض حالياً؛ لأنّ وظيفته ستقتصر على مساعدة الآلة من جهة، والاهتمام بالوضع النفسي للمريض من جهة أخرى. إنّ أكثر الأطباء خبرة لم يعد، منذ اليوم، قادراً على منافسة الحاسوب في تحليل نتائج التحاليل المخبرية أو صور الأشعة. فالآلة هي وحدها التي ستكون قادرة مستقبلًا على القيام بالتحليل الجيني والتفطن المبكر لأمراض معقدة؛ مثل: السرطان وباركنسون وألزهايمر. وأمل البشرية في التخلص من هذه الأمراض لم يعد مرتبطاً اليوم بالمخططات التي تضعها منظمة الصحة

في الثانية الواحدة، أمّا أفضل حاسوب سنة ٢٠١٧ فهو ينجز في الثانية الواحدة ٩٣ مليون مليار من العمليات! ويتوقّع أن تصل هذه السرعة سنة ٢٠٢٠ إلى «مليار مليار» من العمليات، ثمّ مع ظهور الحواسيب الكوانتية، المتوقّع لسنة ٢٠٥٠، سنصل إلى درجات سرعة تكاد تكون غير قابلة للتصوّر حالياً.

ثمّة متغيّر آخر مهمّ أيضاً هو تطور البحوث التكنولوجية التي تسعى إلى الربط بين الذكاء الاصطناعي (الحواسيب مثلاً) والذكاء الطبيعي المرتبط بالجهاز العصبي للإنسان. يمكن أن نضرب على ذلك مثلاً المحاولات القائمة حالياً للتغلب على المرض الذي ظلّ دائماً يصنف على أنه الأكثر استعصاءً، وهو فقدان البصر؛ إذ يتوقّع المتفائلون من الخبراء أن ينجح الطب في القريب في زرع آلات إلكترونية تمكّن الكفيف من الإبصار حسب تقنيات معقدة تربط بين الآلة والجهاز العصبي للعين. وتصنّف في هذا المجال أيضاً القلوب الاصطناعية التي زرعت بنجاح في السنوات الأخيرة، وإن لم يتمكّن المستفيدون منها إلى حدّ الآن من العيش بها إلا بضعة سنوات إضافية. إذا توصلت التكنولوجيا مستقبلًا إلى

ويرى الكاتب أنّنا نعيش دون أن ندرك آثار هذه الثورة التكنولوجية الثالثة، لكننا سنتفطن قريباً إلى كونها، مثل سابقتها، ظاهرة ستغيّر جذرياً نمط حياتنا الخاص والعام. ربما نسينا بسرعة أنه في حدود سنة ١٩٩٠، لم يكن أحد يسمع بالإنترنت، تلك التكنولوجيا ذات الطابع السري التي استخدمت بشكل محدود آنذاك في المجالات العسكرية الأمريكية، بينما نرى اليوم كيف أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، وربما نسينا أيضاً ما حدث سنة ١٩٩٧، عندما انتصر الحاسوب لأوّل مرّة في لعبة الشطرنج على بطل العالم غاري كسباروف. وكما يحصل دائماً مع التغيرات الكبرى، فإن الآثار تبدو في الوهلة الأولى مثيرة لكنها جانبية، إلى أن تشمل كلّ مجالات حياتنا ونصبح في حالة خضوع كلي لها.

صحيح أن الذكاء الاصطناعي قد ظهر منذ أربعينات القرن العشرين، وارتبط بصناعة الحواسيب، لكن علينا أن نعتبر بالسرعة الفائقة التي تطوّرت بها هذه الصناعة لنفهم لماذا يتوقّع العديد من الخبراء أن يتحوّل دور الحاسوب من آلة مساعدة إلى آلة مهيمنة على الإنسان. فأوّل حاسوب كان ينجز عملية واحدة



الموضوع، وقد تمّ تقديم هذا التقرير في شهر مارس الماضي، ويشير مثلا إلى أنّ البلدان الأكثر تقدّما اليوم في هذا المجال هي الولايات المتحدة والصين وإنجلترا وكندا وإسرائيل. وتدارك تأخر بلده في هذا المجال، أعلن ماكرون مؤخرا برنامجا ضخما بتمويلات تفوق ١,٥ مليار يورو يتضمن العديد من المبادرات والمشاريع. ينبغي أن يطلع القارئ على هذا الكتاب كي يدرك الرهانات الضخمة التي تطرحها قضية الذكاء الاصطناعي، ويفهم لماذا تسارع العديد من البلدان الأوروبية لتدارك تخلفها في هذا المجال. أما المجتمعات التي لا تتابع أصلا هذا الموضوع، فإنها ستواجه مخاطر حقيقية في المستقبل، وستصبح في وضع تبعية عميقة للبلدان المتقدمة في هذا المجال.

وتبقى الإشارة إلى أنّ كل ما يكتب ويصدر عن الذكاء الاصطناعي يظلّ مرتبطا بالزاوية التي يحددها أصحاب المؤلفات أو التقارير؛ بما يُحتم على المجتمعات العربية أن تأخذ الموضوع مأخذ الجدّ وتسعى بدورها إلى معالجته من زاوية مصالحتها وتطوراتها، كي لا تفاجأ في القريب بنتائجه، خاصة السلبية منها. كما يتحتم تطوير العلوم التي يركز عليها الذكاء الاصطناعي، وهي محدودة الحضور في المؤسسات التعليمية والبحثية العربية. ويمكن أن تكون البداية بترجمة الكتب الأساسية في هذا المجال.

... إنّ كل الذكاء الاصطناعي مرتبط بتطوير الخوارزميات التي تمكن الآلات من التفاعل مع كلّ الحالات بأسرع من تفاعل الذكاء الإنساني، وينبغي أن لا تبقى كلمة خوارزميات -نسبة إلى العالم العربي المشهور- المساهمة العربية الوحيدة في هذا المجال، ويوجد العديد من الباحثين في الغرب من أصول عربية، على غرار الوزير الذي أشرنا إليه في الحكومة الفرنسية الحالية؛ بما يُؤكّد أن المشكل حاليا هو قلة توفّر المؤسسات والمخابر العلمية التي يمكن أن تدفع البحث والابتكار في المجتمعات العربية.

الكتاب: «حرب الذكاء: الذكاء الاصطناعي مقابل الذكاء البشري».

المؤلف: الدكتور (الطبيب) لوران الكسندر.

الناشر: باريس، دار لاتيس للنشر، ٢٠١٧م، بالفرنسية.

عدد الصفحات: ٣٣٩ صفحة.

* أستاذ كرسي اليونسكو للدراسات المقارنة للأديان



بعض المعدّات الإلكترونية في أدمغة أبنائهم لإعانتهم على الرفع من قدراتهم الذهنية، متوقّعا أن النجاح في الدراسة ثمّ في العمل سيرتبط أيضا بالقبول بهذا التعايش بين الذكاء البشري والاصطناعي داخل الجسد ذاته! ولقد أجمعت هذه الأفكار الواردة في الكتاب العديد من المجدالات الصاخبة منذ صدوره؛ إذ اتهمه البعض بالتحريض على سياسات انتقاء النسل eugénisme وقد صدرت العديد من المقالات النقدية التي تذكر الكاتب بأن الذكاء متنوع، وأنّ مقياس الذكاء الفردي لا يحدّد في ذاته نجاح الإنسان أو فشله، وقد استبق الكاتب هذا الاعتراض بالتأكيد على أنّ محور تفكيره علاقة الإنسان بعالم تتحكّم فيه الآلة والذكاء الصناعي.

لم يمرّ صدور هذا الكتاب في فرنسا دون نقاشات صاخبة، وأفسحت الكثير من القنوات الفضائية والصحف المجال لاستجواب الكاتب أو جمعه بنقاده للمناظرة. وثمة أمر اتفق فيه الجميع، مساندين وخصوما، هو جدية الكاتب في جمع المعلومات ودقته في عرضها، بصرف النظر عن النتائج التي استخلصها منها.

الكاتب ما فتى يؤكّد في كتابه -وفي المناسبات الكثيرة التي ظهر فيها الإعلام- أنه أراد أن يرسل رسالة إنذار للأوروبيين بأنهم سيتحوّلون قريبا إلى بلدان مستعمرة، بحكم تخلفهم في مجال الذكاء الاصطناعي الذي يسيطر عليه اليوم الأمريكان والصينيون. يذكر في هذا الصدد أنّ الرئيس الفرنسي الشاب أمانويل ماكرون كان قد عيّن في حكومته كاتب دولة للذكاء الاصطناعي (من أصل مغربي!) وأنّه كلّف عالم الرياضيات سيدريك فيلاني بتقديم تقرير شامل في

العالمية أو وزارات الصحة والمستشفيات الكبرى في أكثر الدول تقدّما، وإثما بالبرنامج الذي أعلن عنه مارك زوكرباغ، مؤسس فايسبوك؛ للقضاء على هذه الأمراض بوسائل تكنولوجية مستحدثة تماما تستفيد من المعلومات التي تحصل عليها «فايسبوك» حول العادات والأوضاع الصحية لمستخدميه في كلّ أنحاء العالم (حسابات معقدة للعلاقة بين الإصابة بهذه الأمراض والمحيط العام؛ مثل: البيئة، ونوعية النشاط، والحالات النفسية للمصابين... إلخ).

ومن النتائج المتوقّعة لهذا التعايش بين الذكاء الاصطناعي والبشري تنامي التفاوت بشكل غير مسبوق؛ فمن جهة، ستكون التكلفة ضخمة في مجالات حيوية؛ مثل: الصحة أو التعليم؛ بما يستحيل معه توفير فرص المساواة بين المواطنين في الدولة الواحدة، فضلا عن المساواة بين جميع البشر. ومن المعروف أنّ أية تقنية لا تتراجع تكلفتها إلا عندما تنتشر انتشارا واسعا، وهذا أمر لا بدّ أن يستغرق وقتا طويلا، وفي هذه الأثناء سيوجد مثلا أشخاص قادرين ماليا على القيام بتحليل معقدة لتراثهم الجيني، وربما التّدخل لتعديل جينات أطفالهم قبل الولادة لاتقاء الأمراض الكبرى، بينما سيكتفي آخرون بالوصفات الطبية التقليدية المعروفة اليوم. وسيكون بمقدور أشخاص ومؤسسات أن توظف الحواسيب المستقبلية لإدارة أعمالها بطريقة مغايرة تماما عما هو معروف اليوم، كما ستختفي العشرات من المهن المعروفة اليوم؛ لأنّها ستعوّض بالآلات الذكية. ومن جهة أخرى، سيبزر التفاوت بين البشر في قدرتهم على التعامل مع الذكاء الاصطناعي. وربما كان هذا الجانب هو الأكثر إثارة في الكتاب. فحسب الكاتب، لن يتمكن الناس من التعامل بندية مع الذكاء الاصطناعي، إلا إذا نجحوا في الرفع من معدّل الذكاء لديهم! يعرف الجميع مقياس الذكاء «QI» ويتعاملون معه اليوم كمجرد اختبار طوعي. مستوى الذكاء لدى أغلب البشر اليوم يقع في حدود المائة نقطة من نتائج هذا الاختبار، وهذا قدر غير كاف للمستقبل، إذ ينبغي حسب الكاتب أن ترتفع نسبة الذكاء العامة لدى البشر إلى أكثر من ١٣٠ نقطة (على سبيل المقارنة، نسبة الذكاء لدى كاسباروف الذي هزّمته الآلة في لعبة الشطرنج يتجاوز ١٩٠ نقطة). لذلك؛ خصّص الكاتب جزءا مهما من كتابه لموضوع المدرسة. فهي التي ستتكلّف بالقيام بهذه النقلة النوعية في مستوى الذكاء البشري، وسيطلب ذلك أن تتغيّر جذريا كي تنجح في مواجهة هذا التحدي غير المسبوق. بل إنّ الكاتب يذهب إلى حدّ افتراض أنّ الأولياء عليهم مستقبلا القبول بزراعة



«النظام العالمي الحديث.. دينامية التحولات»

يوسف شحادة *

يُعالج كتاب «النظام العالمي الحديث.. دينامية التحولات» مجموعة مُهمّة من القضايا المنضوية تحت لواء مسار التحولات الكبيرة، التي يشهدها العالم الحديث؛ من خلال سلسلة من التدابير تسير حركته، وتشكل منظومة، أو نظاما مدروسا، لكنه مُعقّد في كثير من جوانبه. وما يُثير الانتباه أنّ مباحث الكتاب تدور حول نقطة جامعة، مألها الشأن الأمني الذي يغدو شأنا عالميا شاملا، وإن كانت مُنطلقاته أوروبية الملامح والسّمات. وإن كان الأمن الأوروبي مرتبطا أوثق ارتباط بأمن الدول الواقعة في جوار القارة العجوز، وعلى تماس بمجال تأثيراتها السياسية والاقتصادية والثقافية، فقد أضحت البلدان الإسلامية والعربية في مُقدّمة تلك الدول التي تُوضَع تحت مجهر الرؤية الأمنية الحذرة. ومن الجلي، والمفهوم، أن طروحات هذا الكتاب تستعرض صورة النظام العالمي الحديث المتكئ على هذه الجزئية الأمنية المهمة، والمتتبع، لدينامية التحولات في المجتمعات غير المستقرة، وفي العلاقات الدولية المتغيرة باضطراد.

يتألف الكتاب من أربعة أقسام تدرج تحت العناوين التالية: «آليات الأمن العالمي»، و«دور الاتحاد الأوروبي في بناء النظام العالمي الحديث»، و«العلاقات الثنائية والمتعددة الأطراف في منظور النظام العالمي الحديث»، و«التحديات أمام النظام العالمي الحديث». يضم القسم الأول ثلاثة فصول؛ أولها بقلم بافيل كافاليرسكي ويغلب عليه الطابع النظري، ويتناول فيه الكاتب شروط وظروف التحكم بأمن الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى عبر الاستناد للسيبرانية الاجتماعية، التي تعني علم القيادة والتحكم في الأحياء والآلات، ودراسة آليات التواصل في كل منهما. ومن خلال معالجة علمية تحليلية يصل إلى استنتاجات مثيرة للاهتمام؛ منها ما يتصل بمناحي العلوم المتنوعة المرتبطة بعمليات إنتاج المعلومات.

الشرق والجنوب إلى الغرب. وهكذا يُستشف من استنتاجات الكاتبة أنها ترى أن مثل هذا الوضع غير المستتب لا يشي بالتساؤل، بيد أنها تدرك أن الإستراتيجية الأوروبية الجديدة التي عرضتها، في يونيو ٢٠١٦، الممثل الأعلى لسياسة الأمن والشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي -فيدريكا موغيريني- تقدم فرصة لكسر الجمود الذي ما فتئ يكبح حراك الإستراتيجية الأوروبية. وفي الفصل الثاني، يتناول أنتوني بينكوس خطة العمل الأوروبية المقدمة لصالح مسألة الدفاع، وي طرح في عنوان مبحثه سؤالاً يثير الانتباه عمّا يسميه «الوصفة الأوروبية» لتحسين القدرة الدفاعية المتناقصة لدول الاتحاد. ويصل إلى استنتاجات مشابهة لتلك التي أتت بها بوجينا كاليش فيما يخص التعاون العسكري بين دول الاتحاد الأوروبي، ورسم سياسة أمنية فعالة جامعة. يصبُّ جل اهتمام المؤلف على استقصاء قدرات أوروبا العسكرية الآخذة بالتضاؤل، ويضع سؤالاً عن ماهية الأعمال الملحة التي يجب اتخاذها بخصوص الخطة الأوروبية لصالح الدفاع من أجل أن تتعاضد القدرات الدفاعية. ويرى أن الإستراتيجية الدفاعية يجب أن تُحكم مساراتها، وبها فقط يرتفع مستوى الأمن الأوروبي. وفي رأيه، يثبت التحليل التاريخي السليم أن السياسة الدفاعية تبقى إحدى أهم القضايا التي تسهر الحكومات الأوروبية على ضبطها، فهي تعد من منظور الدولة الحديثة إحدى أهم سمات السيادة الوطنية. وتبعاً لذلك، يرى بينكوس أن المسار الصائب يكمن في تغيير مفهوم «السيادة الوطنية» من سيادة ذات قرار إلى ذات قدرة. وبالتالي؛ ينبغي وضع أمر المقدر على توفير

ويحتوي القسم الثاني على ثلاثة فصول؛ يضمُّ أولها مبحثاً بقلم بوجينا كاليش، تعرض فيه أفكارها التي تخص إستراتيجية الأمن الأوروبية، سابرة حدودها، ومستقصية مدى مجاراتها الوضع الراهن. ومن خلال العنوان تطرح سؤالاً وجيها يدور حول قدرة استراتيجية الأمن، تلك التي أقرها المجلس الأوروبي في ديسمبر من عام ٢٠٠٣ للوقوف على الأخطار التي تهدد الأمن الأوروبي. ويكون جوابها، المبني على تحليل الوثائق الاستراتيجية للاتحاد الأوروبي، أن تلك الإستراتيجية لن تصمد أمام المنعطفات الحادة التي تمر بها بلدان القارة العجوز. فحسب رأيها أن عجز الخطط الأمنية عن درء الأخطار المحدقة لا يتأتى من مقررات الإستراتيجية ذاتها، بل ينتج من اعتبارات تطبيقية؛ منها: انعدام اللقاءات المنتظمة، المواكبة لتلك الخطط، وغياب إستراتيجية موحدة للسياسة الاتحادية الأوروبية الخارجية. ويمكن إجمال معظم هذه الاعتبارات في حالة واحدة يحدد تضاريسها غياب الإرادة السياسية الفاعلة للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي؛ حيث إنها تسعى أولاً -وقبل كل شيء- إلى تحقيق مصالحها الخاصة. وتصل كاليش إلى استنتاج صائب، يفيد بأن ثغرات عديدة اعترت إستراتيجية الأمن، وأدت لفشل السياسة الأمنية الأوروبية في توقع حدوث أخطار كبرى، هدّدت استقرار أوروبا والعالم بشكل مباشر أو غير مباشر. وتقدّم الكاتبة شواهد على ذلك مما وقع في أوروبا، أو على تخومها، كالحرب في جورجيا، والنزاع في شرق أوكرانيا، والحقاق شبه جزيرة القرم بروسيا، ومخلفات ما سمي «الربيع العربي»، والحرب في سوريا، وتدفق المهاجرين واللاجئين من

وفي الفصل الثاني، يتناول داميان جيرجينسكي مسألة تدمير المسار المعلوماتي، في ظل السيطرة العالمية، واضعاً ما يسميه «الصراع الهجين» في أوكرانيا نموذجا، ومتخذاً من علم التحكم نقطة انطلاق لدراسته. وقد اعتمد في مبحثه تحليلاً نبيهاً، يستقصى مناهج وسائل التفاعل المعلوماتي، مبيهاً بعض مجالاتها بمحددات تعريفية تستدعي التفكير في إدراك معانيها بشكل دقيق. ومن ذلك وقوفه على بعض المفاهيم التي تدخل في باب التفاعل السيبراني؛ مثل: تحطيم المستقبلات، وخلخلة عمليات الترابط والتوازن وإرباكها، واختلال نظام تدفق المعلومات بين عناصر المنظومة الواحدة. وفي الفصل الثالث، يعالج دافيد ديموكوفسكي طابع التحطيم المعلوماتي لمسار الطاقة في نظام السيطرة؛ أي: التحكم والتوجيه، العالمي. وبالاستناد لأمثلة تاريخية يشير إلى الطريقة التي يمكن أن تؤثر بشكل مدمر في نظام مساعدة المعلومات ضمن اقتصاد الدولة. وقد حدّد ستة مناهج للتأثير التفاعلي؛ منها: تصغير القوة الحرة كنتيجة لتضخيم القوة التأمينية الضامنة، وخلخلة تدفق الطاقة في مسارها المرسوم. لا بد من القول هنا: إن المباحث الثلاثة الواردة في هذا القسم تفرّض نوعاً من التلكؤ في قراءة محتواها، يتأتى من صعوبة إدراك مصطلحات شائكة، ومفاهيم معقدة عديدة، ظلت عسيرة على الفهم، رغم أن المؤلفين تناولوها بالشرح والتحليل. ومن الملاحظ أن هذه الفصول الثلاثة قد أشبعت بالرسوم البيانية والمعادلات الرياضية، التي سعى الباحثون من خلالها لإيضاح طروحاتهم بصورة علمية دلالية.



في صدر عنوان مبحثها سؤالا يتصل بمدى اشتداد حدة رهاب الإسلام في العام ٢٠١٧. وهي إذ تؤكد تفاقم حدة ذلك الراهب في دول الاتحاد الأوروبي، خاصة الوسطى والشرقية منها، تضع المسؤولية الكبرى في ذلك على عاتق السياسيين الأوروبيين ومجتمعاتهم المتوجسة. وترى أن السياسة الأوروبية تشدد على أهمية التعاون المؤسسي مع المنظمات العربية والإسلامية المحلية، لكنها لا تفعل إلا القليل الأقل في محاربة العداء الظاهر للإسلام بصورة فعالة. تلجأ الباحثة إلى تحليل ظاهرة ذلك العداء، فترده إلى جذوره التاريخية في الماضي البعيد والقريب. وترى في التنافس السياسي بين أوروبا والعالم الإسلامي سببا من أسباب هذا التنافر، ولكن ما ينبغي قوله هنا، وتحديدًا فيما يخص التنافس، أن هذا الطرح يفتقد إلى الدقة، نظر لضعف دول العالم الإسلامي التي فقدت قدرتها على التنافس في فترة الكولونيالية وما بعدها. بيد أن المؤلفة تلتفت إلى الجانب الأهم من جوانب هذا العداء، وتدركه واصفة إياه بانتباه وحنن، وهو ذلك الذي يتعلق بالاختلاف الثقافي بين الطرفين، وعملية «التخالف» التي يراها الأوروبيون عvisية على المهاجرين المسلمين.

وفي الختام، يُمكن القول إن كتاب «النظام العالمي الحديث.. دينامية التحولات»، قدم مادة قيمة متنوعة الموضوعات والمحاور، تصب في المجرى الرئيس الذي يرسمه العنوان. وقد أتى ترتيب المباحث موفقا، بالرغم من تفاوت مستوياتها التحليلية، وتنوع محتوياتها الفكرية. وقد ظهرت نقاط ضعف عديدة في عملية البحث والاستنتاج، وعلى رأسها عدم التعمق في تحليل قضايا شديدة التأثير في تحديد الأخطار المحدقة بالنظام العالمي الحديث؛ ومنها على سبيل المثال، لا الحصر: خطر تفول رأسمال العالمي المعتمد على تسويق الحروب لضمان تجارته الرابحة في إنتاج مختلف صنوف الأسلحة الفتاكة. وفي المقابل، ضم الكتاب مباحث قيمة قد تحظى باهتمام القارئ، وقد تكون لها أهمية كبيرة في البحوث الجيوسياسية، لكنها ليست على تلك الأهمية في التأثير في مسار النظام العالمي الحديث، ومنها مسألة العلاقات التركية-الإسرائيلية، التي أفرد لها المؤلفون قسما خاصا من العمل. وأخيرا يجدر القول إن الكتاب في معالجته أسس النظام العالمي الحديث ومنطلقاته الفكرية، أثبت أن الأمن العالمي مرتبط بمسيرة التحولات الكبرى التي تشهدها مناطق العالم قاطبة، وفي الصميم منها منطقتنا العربية.

الكتاب: «النظام العالمي الحديث.. دينامية التحولات».

– المؤلف: مجموعة من المؤلفين.

– الناشر: دار آدم مارشاوك، وارسو، بولندا، ٢٠١٨م.

– عدد الصفحات: ٢٢٨ صفحة.

*** أكاديمي فلسطيني مقيم في بولندا**



غزة»، ويشددان على أن تركيا بموقفها المناوئ للعدوان على الأراضي الفلسطينية المحتلة لم يكن ناتجا عن حرصها على سلامة السكان الفلسطينيين، بقدر ما كان نابعا من رغبتها في إظهار نفسها على أنها الدولة القائدة الحامية للمسلمين جميعا. وقد يكون زعم الكاتبين صحيحا أن أولويات السياسة الخارجية التركية قد تغيرت بوصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم في العام ٢٠٠٢، وأن مطامح تركيا العليا أصبحت مرتبطة ببلوغها مكانة الدولة القوية في الإقليم. فكان من الضروري لتركيا الاسترشاد بالخطاب الإسلامي، والانعتاق من شرنقة العلاقات التي تربطها بـ«إسرائيل» بشكل ظاهري يُحبب العرب والمسلمين بها. ويرى الباحثان أن الأوضاع المتغيرة باضطراب، وبشكل سريع، في هذه المنطقة من العالم تستدعي عودة العلاقات بين الطرفين إلى حالها التي كانت سائدة قبل عام ٢٠٠٢، ولكن هذا يتطلب تغييرات عميقة في السياسة التركية. وبغض النظر عن صحة هذا الطرح أو عدمها، فإنه يشي بأن التغيير دائما، وفي جميع الأحوال، يجب أن يصب في مصلحة إسرائيل؛ وذلك ما يجعل مثل هذا الخطاب خجولا في توصيف السياسات الإسرائيلية، وينأى به عن شروط الموضوعية المطلوبة في البحث العلمي المتوازن.

ويشتمل القسم الأخير من الكتاب على فصلين، يتناولان التحديات التي يواجهها النظام العالمي الحديث، وتحديدًا المشكلات التي ترتبط بما سُمي بأزمة الهجرة منذ العام ٢٠١٥. في الفصل الأول تستعرض أوكتافيا أيضا برانيفيتش، منطلقة من منظور قانوني، ظاهرة الاتجار بالبشر، متتبعة شؤونها في سياق الأزمة التي نشأت مع تدفق سيل المهاجرين المسلمين إلى الغرب. ونظرا لاعتبارات رسمية، وكذلك عملية، تؤكد المؤلفة أن عمليات تهريب المهاجرين والاتجار بالبشر، على عكس الصورة العامة التي تضعهما في خانة واحدة، أمران مختلفان. أما حنا فيتشانوفسكا، فتتناول في الفصل الثاني الوضع الراهن للأقليات المسلمة في أوروبا، وتضع

الأمن في المكان الأول، وهذا غالبا ما يتطلب تفعيل التعاون الدولي. وفي الوقت نفسه، يؤكد بينكوس أن إمكانيات التغيير تظل محدودة بشكل كبير، ما لم تُقر مشروعات السياسة الدفاعية المشتركة في خطة واحدة مُحكمة. فلا يمكن لهذه السياسة -كما يصفها المؤلف- أن تبقى مجرد مقررات أوروبية مكملة اتخذت بالإكراه. وفي الفصل الثالث، تبدي ماجدلينا كانيا رأيا مغايرا لما طرح من آراء قبلها، إذ إنها تتناول، من منظور مقارن، نماذج متنوعة لسياسة المساعدة التنموية التي تنتهجها دول الاتحاد الأوروبي. فنجدها تُقارن تلك النماذج المتبعة في ثلاثة بلدان منتمية إلى الاتحاد الأوروبي؛ هي: بريطانيا وألمانيا والسويد. ورغم اختلاف الدوافع المعيارية بين تلك الدول في إرساء تلك السياسة، يُمكن تلمس أوجه تشابه عديدة، ومهمة، بين برامج المساعدة المعتمدة. وتستعرض كانيا جوانب مهمة من آليات عمل تلك البرامج، فتؤكد أن الزيادة الثابتة لقيمة المساعدة عادة ما تترافق مع أمور أخرى؛ منها: ربط المساعدة بالشأن الأمني الذي يحرص على صيانة السلم والاستقرار، والتعويل على الرقابة الاقتصادية عبر زيادة التصدير والمشاركة في المشروعات الاستثمارية القائمة في المناطق التي توجه إليها المساعدات. وترى المؤلفة أن البحوث التي تعنى بسياسة المساعدة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار سبل تحقيق الإفادة لتشمل طريفي المعادلة؛ أي: المعطي، والمتلقي.

ويضم القسم الثالث من الكتاب فصلين، اشترك في كتابتهما الدكتورة ماجدة ليفيتسكا والباحث ميخاوا داهل، يُعالجان فيهما شؤون العلاقات التركية-الإسرائيلية وشجونها. يُركز المبحث الأول على ما يُسمى الطابع «الجيبى» (والمقصود بالجيب هنا جيب الزاوية في الرياضيات) للعلاقات التركية-الإسرائيلية بعد عام ١٩٤٩ وحتى بداية القرن الحادي والعشرين. يُشدّد المؤلفان على أن تركيا كانت تنظر إلى علاقاتها بـ«إسرائيل» على أنها علاقات إستراتيجية، لا يمكن التخلي عنها، رغم حدوث اعتداءات إسرائيلية كثيرة على العرب عامة، والفلسطينيين منهم خاصة، ومن ذلك حرب السويس عام ١٩٥٦. ويحلل المؤلفان الموقف التركي هذا على أنه يسعى من خلال ذلك إلى إرضاء الغرب، خاصة الولايات المتحدة، من جهة، ويحرص على تحقيق مصالح مشتركة بين تركيا وإسرائيل في الشرق الأوسط، من جهة أخرى. ويذكران بعض تلك المصالح؛ ومنها على سبيل المثال: الحرص على الاستقرار في لبنان، كما يزعم الكاتبان، رغم أن السياسات الإسرائيلية دأبت على زعزعة استقرار لبنان لإبقائه ضعيفا فتسهل السيطرة عليه. ويغلب على المبحث الثاني الطابع الاستعراضي للعلاقات بين تركيا و«إسرائيل» بعد عام ٢٠٠٢ وحتى عام ٢٠١٤، مع التركيز على تحليل الرؤية السياسية الخارجية لرئيس وزراء تركيا أحمد داود أوغلو. وقد استفاض الباحثان في الحديث عن الفتور الذي شاب العلاقات التركية الإسرائيلية، وتحوله إلى توتر اشتد أواره إثر العدوان الإسرائيلي على غزة في عام ٢٠٠٨. ومن الغريب أن المؤلفين يسميان ذلك العدوان بـ«التدخل الإسرائيلي في قطاع



«مملكة الخوف: نظرات فلسفية في الأزمة السياسية الأمريكية».. لمارثا نوسباوم

محمد الشينخ *

على مدى أمد طويل، ظلت أمريكا - ذات التقاليد الأنجلوسكسونية المحافظة الراسخة - تتشكك في نموذج «المثقف»، لا سيما بمعناه الفرنسي؛ أي: تتوجس من ذلك المفكر أو الكاتب أو الفنان الذي يهتم بالشأن العام، ويدلي بدلوه في الساحة العمومية. لكن، يبدو اليوم أنّ هذا التقليد قد بدأ في التحول. ذلك أن العديد من المفكرين والكاتب والفنانين الأمريكيين تخلوا عن صمتهم الإصراري، وأمسوا يدلون بدلوههم في ما يحدث من شأن في السياسة الأمريكية على الساحة العمومية. وفي ما يخص فلاسفة أمريكا، كان أول الغيث بعض الكتب الذي أنشأها أصحابها في نقد سياسة ترامب. نذكر من بينها الكتاب الجماعي الموسوم «ترامب والفلسفة السياسية» (٢٠١٨). وثانية قطرات الغيث كانت كتاب الفيلسوفة الأمريكية مارثا نوسباوم «مملكة الخوف» (٢٠١٨ أيضًا). وفي رصيده هذه الفيلسوفة - التي لا أكاد أعرف لها في العربية إلا كتابا واحدا مترجما («ليس للريح: لماذا تحتاج الديمقراطية إلى الإنسانيات [العلوم الإنسانية]»، ترجمة: فاطمة الشعلان)، وحوارات - أزيد من عشرين مؤلفا مهمًا. ولمن لا يعرف الفيلسوفة الأمريكية، فقد دار عملها الفلسفي على أمرين اثنين: أولاً: دار على المؤسسات والقوانين السياسية؛ إذ سعت للدفاع عن الديمقراطية وعن حقوق المواطن وواجباته الأساسية. وقدمت نموذجاً توضيحياً لذلك بدعوتها إلى تقوية «إقدرات» المواطن على الولوج إلى عدة خدمات: الحق في الشغل وفي التطبيب وفي الرعاية... بغية تفاعلي التحاسد والتضامن. وبناء الأمل والرجاء بين أبناء الوطن الواحد. ثانياً: دار عملها على الانفعالات والمشاعر - من رغبة ورهبة وخوف وبغض وغضب وقرق وأمل ومحبة... وغيرها - وضرورتها في السيطرة على السلبي منها، وتشجيع الإيجابي بغية تحقيق الحياة الطيبة. وقد اتبعت في ذلك تقليداً فلسفياً راسخاً امتد من أفلاطون إلى المفكرين المحدثين والمعاصرين من أنظار آدم شميث وجون راول.

في مشاكل واقعية؛ من بينها: جمود المدخول لدى الطبقة المتوسطة الدنيا، تردي الخدمات الصحية ومتوسط العمر لا سيما لدى الرجال، ارتفاع أسعار التعليم العالي في الوقت الذي أمست فيه الشهادات العليا مطلوبة من أجل التشغيل... ومن شأن هذا الوضع أن تنشأ عنه المخاوف. أكثر من هذا، من أمر الناس أن يبحثوا عن مشجب وكبش فداء: الغرباء/الأجانب، المرأة... وذلك حسب ما اعتاد عليه الناس من إلقاء المسؤولية على «الآخرين».

على أنّ هذه المخاوف ما استبدت بأهل اليمين الأمريكي وحدهم، وإنما شملت أهل اليسار الأمريكي بدورهم، الذي أمسوا يتحدثون عن سقوط الحريات الديمقراطية، من حرية الخطاب والسفر والتجمع والصحافة، بل وعن نهاية العالم بعد صعود حكم يدعو للعنصرية وكرهية المرأة والمثليين. وتشير الباحثة إلى أن بعض طلابها الشباب أمسوا يعتقدون أن أمريكا التي عهدوها ما عادت كما كانت، وأن شعور المحبة آيل للتلاشي، بل ذهبوا إلى حد شيطنة نصف الأمريكيين، واصفين إياهم بوصف «الوحوش»، جاعلين منهم أعداء كل ما هو خير. وتذكرنا المؤلفة بأن أمريكا الحلم ما كانت دوماً بأمريكا الجميلة. وتقف الوقفة على تواريخ المأساة التي عاشها الأمريكيون. لهذا؛ تعتبر أن شأن أمريكا أن تكون دائماً عملاً في طور التحقق، وأن ما يحدث في أمريكا، وإن كان ينم عن بعض التراجع في المسار نحو المساواة الإنسانية، ما كان شاهداً على يوم قيامة آتية لا ريب فيها، وأن الأمل في الخير غير مفقود ألبتة. فمن أمر الذعر، أكان في اليمين أم في اليسار، ألا يعمل إلا على المغالاة في أمر المخاطر المحدقة، كما من أمره أن يجعل

ثم تفضي المؤلفة إلينا بمقتطفات من مسيرة حياتها: عقيدة والدها الاجتماعية المحافظة، تجربتها في العيش إلى جانب الفقراء والمحرومين أيام التحصيل الدراسي، اقتناعها بأن المساواة الحققة تقتضي الحق في التغذية والرعاية الصحية، اهتمامها بالمرح ورغبتها غير المحققة في أن تسمى ممثلة، مكافحتها للعودة بالفلسفة إلى سالف عهدها الإغريقي الروماني من حيث الاهتمام بقضايا المشاعر والكفاح من أجل حياة مزدهرة مفعمة بالمحبة والصدقة في أزمنة شقوة واضطراب، اهتمامها بالشيخوخة وبفلسفتها، مع الأمل في تحقيق مجتمع منصف... وهذه الإسارات كلها تنبئ بمعالج «فلسفة إنسانية» شاركت فيها الفيلسوفة الأمريكية العديد من الفلاسفة الأنجلوسكسون من أمثال ستانلي كافل وهيلاري بوتنام وبرنار وليامس.

وفي مدخل كتابها، تؤكد الفيلسوفة أن ثمة كثيراً من الخوف يحوم طيفه حول الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، وهو خوف ممزوج بالغضب وباللوم وبالחסد. والذي عندها أن من شأن الخوف أن يعيق دوماً المشاورة العقلية، وأن يسمم أبداً الأمل، وأن يفسد السعي إلى التعاون البناء من أجل بناء مشترك للمستقبل. وتتساءل المؤلفة: ممّ يحدث الخوف اليوم؟ والجواب: كثير من الأمريكيين أمسوا يشعرون أن لا حول لهم ولا قوة، وأن لا سلطان لهم أضحى على حياتهم، بل صاروا يخشون على مستقبلهم وعلى مستقبل أبنائهم. فقد صاروا يحسبون أن الحلم الأمريكي - وهو أمل الإنسان في مستقبل أفضل لأبنائه من الحياة التي عاشها هو - قد قضى ومات، وأن كل شيء قد انفلت منهم. ولهذه المخاوف أساس يتمثل

وقد استندت المؤلفة إلى علم النفس وإلى التحليل النفسي، كما إلى الفلسفة بطبيعة الحال، في الاستدلال على أن المشاعر والأهواء لها دور مهم تلعبه في المجتمع السياسي حتى يمسى مجتمعاً يكرم أهله ولا يهينهم. ذلك أن المشاعر تقتدر على أن تهز كيان الجماعة وتشتته، كما أنها تقتدر بالقدر نفسه على أن تنتج بداخل الجماعة التضامن وأن تخلق اللحمة بين أعضائها.

ومدار كتاب الفيلسوفة - الذي بين أيدينا - عن اليأس والرجاء في هذه الأزمنة العصيبة. ويتكون كتاب مارثا نوسباوم من ستة فصول، فضلاً عن تقديم ومدخل، تدور على مشاعر وأهواء سلبية؛ شأن الخوف والحسد والكرهية، وإيجابية شأن الأمل والمحبة.

وفي مقدمة البحث، تعود المؤلفة بذكرتها إلى تيلة الاقتراع الرئاسي عام ٢٠١٦، حيث كانت توجد بكيوتو (اليابان) لكي تحضر حفل تسليم جائزة عرفان إليها. لكن لم يعكر صفو هذا الجو الاحتفالي سوى الشعور بالقلق الذي انتابها والخوف من الانقسام الذي اعترافها من مأل النخبين الأمريكيين، وتأثير ذلك كله على البلاد والعباد والمؤسسات. وسرعان ما كان أن تساءلت المؤلفة: كيف لها وهي التي ألقت كتاباً في المشاعر والأهواء السياسية أن تترك نفسها فريسة لشعور الخوف هذا الذي استبد بها فجأة؟ وقد كانت هذه الحال والتساؤل بمثابة الشرارة التي انقذ عنها هذا الكتاب. إذ راحت مارثا نوسباوم تبحث عن منشأ هذا الشعور، وكيف أنه بدوره يسمح بتوالد مشاعر أخرى من شأنها أن تسمم انفعالات أخرى؛ شأن الغضب والقرق والحسد.



الكتاب اقتراحات لاحتواء وتجاوز الآثار المدمرة لكل انفعال سلبي - نحو الأمل والمحبة والعمل. وأعلنت المؤلفة أنها ما كانت بالمتشائمة إزاء المستقبل، ولا ينبغي لها أن تكون، وإنما هي بالعكس متفائلة، وأن التحليل الفلسفي للأمل من شأنه أن يقترح إستراتيجيات لتغذية الأمل والإيمان ومحبة البشرية حيثما تم الاعتقاد بأن الانفعالات الطيبة والمشاعر الحسنة هي التي يجب أن توجهنا وأن تنير طريقنا. وللدفاع عن موقفها، لا تكتفي المؤلفة باستحضار أمثلة من الحاضر السياسي، بل تمتح من معين القدماء - لا سيما منهم الفلاسفة الإغريق والرومان - ذلك أن حفظ المسافة مع الحاضر، عن طريق إلقاء نظرة على الماضي، من شأنه أن يجعل نظرنا - في رأي المؤلفة - أكثر سكوناً، وأن يصير خوفنا أقل حدة. فلقد كانت الفلسفات اليونانية القديمة - الرواقية والأبيقورية - فلسفات أمل، ولا يزال لها الكثير مما يمكنها أن تقولها لنا.

وترى الفيلسوفة أنه رغم أن «الأمل» انفعال - شعور - ملغز يستدعي النظر، ورغم أهميته البالغة، فإن الفلاسفة ما أخرجوا فيه القول، اللهم إلا في ما ندر. والذي عندها أن الأمل أعظم بلسم ضد الخوف. وهو خيار، كما أنه عادة عملية. ففي كل شيء مزيج من الحسن والقبح، والطيب والفساد، والأمل إظهار للحسن الطيب، والرجاء إضمار للقبح الفاسد. وعن السؤال: كيف نتعامل مع ما يحدث - وهو أمر جليل؟ تجيب الفيلسوفة: هذا يتعلق بالانفعال الذي نخاطر فيه، ولا أفضل من مشاعر الأمل باعتبارها البلسم الشافي. ذلك أنه يمكن أن نواجه المستقبل بالقول: «ما أسوأ ما تخفيه الأيام لي!» كما يمكن أن نواجهه بالقول: «ومن أدراك يا هذا! لعل الأمر سيكون بديعاً رائعاً»، من شأن الأمل، إذن، أن يقع على النقيض من الخوف. الخوف يجذبك إلى الخلف، والأمل يقذف بك إلى الأمام. وثمة العديد من الفرص لإبداء الأمل وانبعاث الرجاء: ثمة، أولاً، دين الأمل، لا دين الأمل في الآخرة، وإنما دين الأمل في الدنيا. وثمة احتجاج الأمل، الذي يدفعك إلى الدعوة إلى العدالة، وتتضامن من أجل قضية عادلة، لا احتجاج العدمية واليأس.

وتختتم الفيلسوفة كتابها بتذكيرنا بنظرية «الإقدرات» - وهي نظرية ضرورة مساعدة الدولة مواطنيها على أن يصيروا قادرين مقتدرين - التي تحارب المخاوف: إقدار الناس على حفظ حياتهم، وعلى صون صحتهم، وعلى سلامة أجسادهم، وعلى حفظ حواسهم وخيالهم وفكرهم، وعلى إبداء عواطفهم ومشاعرهم، وعلى أعمال عقولهم التطبيقية العملية بروية، وعلى العيش مع الآخرين والرعاية لهم، وعلى الحياة مع أنواع أخرى من الكائنات الحية، وعلى الفرح واللعب والمتعة، وعلى حفظ البيئة.

الكتاب: «مملكة الخوف: نظرات فلسفية في أزمنا السياسية»
- المؤلفة: مارثا نوسباوم.
- الناشر: Simon & Schuster، 2018م.
- عدد الصفحات: 272 صفحة.

* أكاديمي مغربي



وبالجمل، تحدثنا مارثا نوسباوم عن مرويات الخوف الدائرة على هوى أن ثمة شيئاً خطيراً يحدث بنا، فيصير وقتها المواطنون غير مُكترئين لتبين الحقيقة، ويقعون فريسة خطاب الزعماء السياسيين، ويتحولون إلى عدوانيين تجاه الأغيار، يلومونهم على معاناة الخوف، ولسان حالهم يقول: أنتم المسؤولون عن خوفنا!

وفي الفصل الثاني - المعنون: الغضب ابن الخوف - تبدأ المؤلفة بالقول: أمريكا بلد غاضب. ذلك أمر معلوم منذ دهر. لكن الغضب اليوم أكبر. الكل غاضب، والكل يلوم الكل: الرجال يلومون النساء، والنساء تلمن الرجال من الطبقة العاملة. وفي اليمين ثمة لوم هستيري للمسلمين، وفي اليسار ثمة لوم غاضب لأولئك الذين يلومون المسلمين... والمهاجرون يلومون النظام السياسي الجديد الذي جعل حياتهم غير مستقرة.. وفي أجواء هذا شأنها تغيب المشاورة الهادئة.

وتخصّص الباحثة فصلاً كاملاً للحديث عن المشاعر السياسية السلبية الموجهة صوب النساء، والتي احتلت مكانة الصدارة في الخطاب السياسي الأخير (خطاب ترامب). وتحلل الصلة بين التمييز الجنسي - الذي هو جملة أنظار ترى أن النساء أقل شأنًا من الرجال - وبين كراهية المرأة - التي هي إستراتيجية تعزيز تسعى لإبقاء النساء «في مكانهن» لا يتعدينه - وتدافع المؤلفة عن فكرة أن كراهية النساء، التي تنبني أساساً على قناعات تمييزية جنسية، إنما هي خمرة مسممة وغضب عقابي وقرف من جسد النساء (وهذا لا يتعارض مع الرغبة فيهن وفي أجسادهن)، وحسد من النجاح المتنامي للنساء على مختلف الصعد التي صارت تنافس فيه الرجال.

يُمكن أن نقدم هذا الكتاب سلبيًا وإيجابيًا: سلبيًا، ليس هذا الكتاب كتاباً في السياسة العمومية، لا ولا في التحليل الاقتصادي، مهما كان هذان المبحثان مهمين في حل مشاكل أمريكا. إيجابيًا: هذا كتاب أعم وأكثر استبطاناً يسعى لفهم بعض القوى التي أمست تحرك الأمريكيين. ومن هذه الجهة، يقدم الكتاب توجيهات عامة للفاعل ويحض على العمل. الفهم قصده في المحل الأول. ومن شأن الفهم أن يكون دائماً حاضراً على الفعل، لأن الفهم - كما تقول المؤلفة - أساس الفعل. وقد تضمن كل فصل من

اللحظة تبدو أشد خطورة مما هي عليه في الحقيقة. وإن الأمر لأشبه بزواج فاسد: حيث من شأن الخوف والتوجس واللوم أن يشوش الخاطر على التفكير الصائب في المشكلات الحقيقية التي ينبغي معالجتها. وحين يسمي الناس يتوجسون من بعضهم البعض، ومن مستقبلهم خيفة، تتمخض عن ذلك فكرة كبش الفداء، وتصير السلامة في تبني قول فرانكلين روزفلت: «لا شيء علينا أن نخافه سوى الخوف نفسه». ذلك أن الخوف يسير، وإنما التفكير فيه عسير. وهنا تكمن أهمية الفلسفة. ولا تعني الفلسفة أن نحتمي بأقوال ذات سلطان، وإنما أن يفحص المرء حياته - على طريقة سقراط - وأن يتدبر شأنها بتواضع، يتذكر دوماً كم هو فهمنا ضئيل، ويذكرنا بالتزام الحجة وتبادلها، وإبرادة الاستماع إلى الأغيار بحسبانهم شركاء لنا، وبالتفاعل مع ما يقولونه لنا. والشأن في الفلسفة أنها لا تملئ علينا خيارات سياسية بعينها، لأن هذه الخيارات ينبغي أن تكون تابعة للسياقات، وأن تنتج عن ثمرة شراكة بين الفلسفة والتاريخ وعلم السياسة والاقتصاد والقانون والاجتماع.. من شأن الفلسفة أن تقدم لنا معنى حول من نكون، وما هي المشكلات التي تكمن في طريقنا، وما الذي ينبغي لنا أن نقدمه. إنما الفلسفة مبحث ظريف يباشر الناس بأدب واحترام لكامل إنسانيتهم. وهي بهذا المعنى ضرب من المحبة، لا المحبة الرومانسية، وإنما الملاءمة بين احترام الإنسانية والإرادة الخيرة والأمل.. وهذا بالذات ما تعلن الفيلسوفة أنها تعمل عليه في هذا الكتاب.

يبدأ الفصل الأول من الكتاب بالحديث عن الخوف. وتبرز المؤلفة أن الخوف يتأصل في النفوس منذ الطفولة، ويرافقنا في جميع أطوار عمرنا، ملونا نظرنا إلى الحياة بهذا القدر أو ذلك. وتقترح في هذا الفصل بعض الإستراتيجيات لاحتواء الخوف وجعله أقل تسميماً لحياتنا، على الرغم من إقرارها بأنه لا يمكن التخلص من مخاطر الخوف التلخص النهائي. وهي تفترض أن نشأة الخوف فينا تؤول إلى أننا نأتي إلى عالم لم نتهيأ له. وتعرف معنى «الخوف» لدى الفلاسفة وعلماء النفس، وتعرض مختلف النتائج التي انتهت إليها المباحث المشتركة بين الخوف والانفعالات عامة - نشأة وأشكال - فتجد أن هذا المشترك يتمثل في أمور ثلاثة: ثمة نزوعات فطرية إلى الخوف لدى الإنسان، وثمة حالات نفسية ناشئة مكتسبة، وثمة استجابة الناس إلى الخطابات السياسية التخويفية. ثم تتحدث عن الخوف السياسي وعن سياسة التخويف. وتقف عند التخويف من المسلمين. وترى أن أساس الخوف قد يكون مبرراً - الخوف من الإرهاب - لكنه يتحول لمخاوف غير مسوغة وغير معقولة، تخلق جواً من التوجس يهدد القيم الديمقراطية المشتركة. وهو خوف توجهه الخطابة ويستعمله الزعماء السياسيون (ترامب)، مذكرة بالخلط بين العرب والمسلمين، وأن أكبر تجمعات المسلمين لا توجد في بلاد العرب (إندونيسيا والهند)، مؤكدة أن من قرأ القرآن أولاً وجد فيه - شأنه في ذلك شأن الإنجيل - ديانة احترام ومساواة. ولهذا اعتنقه الهندوس ضد نظام الطوائف. وتنعو باللائمة على الكثير من الأمريكيين الذي يجهلون كيف يعيش غالبية المسلمين، وكيف يختلفون، وكيف تتباين تأويلاتهم للقرآن، وكيف يتم اختزال الإسلام في التأويل الوهابي.



«داعش: أقوال الهاربين».. لتوماس داندوا وفرانسوا تريغان

وليد العبري *

اللافت في هذا الكتاب كثير، بدءاً بعنوانه الذي جمع بين كلمتين «داعش وأقوالهم». فلطالما كان الداعشيون ما يتكتمون على الكشف عن هويتهم، فما بالك بالكشف عن العديد من الأقوال والبراهين والأدلة! وكانت هذه الشهادات استثنائية، وهذا ما حاول الكاتبان توماس داندوا وفرانسوا غزافييه تريغان أن يبيّناه للعالم عن تصرفات جماعة داعش الإرهابية؛ وذلك من خلال مقابلة العشرات من الفارين سرا من تنظيم الدولة الإسلامية كما يطلقون على أنفسهم، وتمّ من خلالها إرفاق العديد من رسائل هؤلاء الفارين في الكتاب، لتوضيحها للعلن، وتكشف المستور عن خبايا هذا التنظيم الجائر، وكذلك تحدث الكتاب عن طبيعة الدين الإسلامي المعتدلة، وأن هذه الفئة الضالة لا تمت للإسلام بصلة.

«لدي رسالة لنقلها إلى أولئك الذين ما زالوا يؤمنون بالدولة الإسلامية، لأولئك الذين يريدون الانضمام إليهم؛ استيقظ! إنها ليست دولة إسلامية، هي دولة لا إسلامية، هذه الدولة لا تحكم وفق مبادئ الله؛ لا ننخدع! نحن السوريون الذين انضموا إلى داعش، شاهدوا ما لا يمكن تصوره، أصبحنا مطاردين في كل مكان، لا نعرف كيف سيكون يوم غد، لم نعد نستطيع عيش حياة طبيعية كما يفعل الآخرون، أقول لأولئك الذين بقوا هناك في سوريا أو العراق مع داعش، أنصحك أن ترحل فوراً، هناك الكثير من الناس يمكنهم مساعدتك على الخروج من هناك، في أحلامي، أرى الدم، حتى في أحلامي، أرى نفسي أُنسي، أرى نفسي أُنسي، أمل أن أُنسي، أمل أن يكون مستقبلنا أفضل». بهذه الرسالة بدأ مقالنا؛ إذ كتبها أحد الفارين من تنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، وهي شهادة قوية ومقلقة من كاتبها أبو أسامة، ذي الثانية والثلاثين، من الرقة السورية. ونلاحظ من خلالها الحسرة والحزن والأسى على ما قام به هناك مع هذا التنظيم الإرهابي الذي لا يُمثل الدين، ولا يحكم وفق ما أمر الله؛ إذ يسعى في الأرض الفساد والدمار، وترهب الكبار قبل الصغار.

من قبضة الجيش الوطني، الذي بدأ يحكم سيطرته على المناطق المحتلة، وكذلك تأنيب الضمير الذي لحق بهم، بعدما عاثوا في الأرض فساداً ودماراً. وهذا ما صرّح به محمود وأبو شجاع، أنه من أسباب انضمامهما إلى تنظيم الدولة سابقاً هو سهولة إعدام الناس بدم بارد، سواء كان مذنباً أو لا، سواء كانت امرأة أو رجلاً، شيخاً كبيراً أو طفلاً، اقتل ولن تُسأل أبداً عما فعلت، ولماذا قتلت، وهو ما دَعَا محمود إلى إعطائه بعض القيادات لترؤس بعض المهام، بعد كثرة الإعدامات التي قام بها، وهو ما جعله نادماً على فعلته، والسعي لتصحيح فعلته، من حيث تخليص وتهريب المقاتلين الذين يُريدون الفرار من هذا التنظيم. ويعترف أبو علي -صاحب ٣٨ عاماً- الذي كان حارس سجن الخلافة السابق، والذي أصبح هارباً في الوقت الحالي قائلاً: «إنها رحلة بلا عودة»، لما شاهده من ويل التعذيب، المتجرد من الإنسانية، تعذيب الناس بلا سبب، وباستخدام أقسى وأشد أدوات التعذيب، والتي راح ضحيتها الكثير من الأبرياء الذين لا ذنب لهم في ذلك أبداً.

البعض يسأل: إذن، لماذا انضم هؤلاء الناس إلى التنظيم في بادئ الأمر؟ الإجابة عن هذا السؤال

التنظيم الإرهابي، كما هي الحال في كل حرب، وأن هناك العديد من الطرق الخداعية، التي تم رسمها سابقاً، وقال أبو شجاع: «نفهم أن هناك طرقاً مختلفة لنش حرب، يمكن أن يؤدي القتال غير المسلح بدون رصاص إلى أضرار أكبر بكثير لخصم مثل داعش»؛ مما يعني في ذلك الضلّ الذريع وسهولة اختراق صفوفه بأقل الأساليب الممكنة، ولكن الوقت لا يدعو للمجازفة، لأنه في حالة تم كشف المخطط، ستذهب أرواح كثيرة من البشر؛ إذ إن تنظيم داعش لا يأبى أو يتردد في قتل الناس مهما كانت أفعالهم، وكأن الرحمة والإنسانية قد نُزعت من قلوبهم، لا نريد أن نقول إنها فعلاً أحد الشروط الرئيسية للانضمام إلى تنظيم داعش.

وقد نجحت هذه الشبكة السرية في العديد من المحاولات لتهريب المقاتلين الذين يريدون الفرار من تنظيم الدولة الإسلامية، والتي تقع على بعد ٦٠ كم من جنوب شرق تركيا، ولكن اكتشفت الجماعة الإرهابية هذه الشبكة وحاولت النيل منهم، واستطاعت القبض على بعض الهاربين وتصفيتهم، ولكن لا يزال العديد من المقاتلين الذين يسعون للهرب من تنظيم داعش، لهم أسبابهم؛ منها الخوف

هذا الكتاب مُقسَّم إلى قسمين؛ في الجزء الأول يتحدث فيه الكاتبان عن اجتماعتهما مع محمود وأبو شجاع، اللذين يديران خلية بهدف استخلاص الناس من تنظيم داعش، بعد أن كانوا هم أنفسهم المسؤولين عن تقسيم الثوار في مدينة الرقة السورية، العاصمة السياسية والعسكرية للمجموعة الإرهابية، وهي إحدى كتائب الجيش السوري الحر، المنشق عن الجيش السوري الوطني. أما الجزء الثاني، فتحدث عن مصادر تنظيم داعش، ومعرفة طبيعة الحياة اليومية لديهم، وما هي أساليبهم وطرق عيشهم.

أما عن الجزء الأول، فقال توماس داندوا وفرانسوا تريغان إن العملية كانت طويلة ومحفوفة بالمخاطر، فبمجرد انطلاق العملية، سيكون الوقت قد فات لتغيير رأيك، والعودة مجدداً إلى نقطة البداية. وقال المؤلفان إنهما التقيا بمحمود وأبو شجاع في العديد من المناسبات، مع اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر لكي لا يتم كشفهما في كل موعد، وكذلك لا يتم كشف محمود وأبو شجاع عند تنظيم الدولة الإسلامية، وما يرغبان في القيام به، استغرق الأمر عدة أشهر حتى يتم تصفية المرشح المعلن، الذي سيمكن عند التخلص منه استخراج الناس من



هذا التنظيم، تمت السيطرة على معبر رئيسي على الحدود التركية-السورية، كان نقطة عبور الملتحقين الجدد بتنظيم الدولة الإسلامية، وقامت شركات متخصصة في التواصل الاجتماعي بوقف الحسابات التابعة لهم، لتجنّب غسل عقول الناس بها.

ومن القصص الجميلة التي تحدّث عنها الكاتبان، وأثارت انتباهي، أنه في أحد الأعوام السابقة تمّ القبض على أحد كبار المدبرين في تنظيم الدولة الإسلامية، سعى الكاتبان إلى إجراء مقابلة معه؛ وذلك بالتحدث مع المسؤولين والجمعيات المدنية الرسمية، وإيضاح الفكرة العامة من هدف المقابلة، ولكن تم رفض الطلب، بعد العديد من المحاولات، وهذا ما أثار غضب الكاتبين؛ إذ قالوا: يجب على المسؤولين التصرف بجزء من العقلانية، والتفكير في الأبرياء، ربما هذه المقابلة ستكشف الكثير من الخبايا، التي ستساعد الناس على الابتعاد عن هذا التنظيم الإرهابي، وعلّقوا أيضا بأن هؤلاء المسؤولين سوف يتحملون جزءا كبيرا عندما يُقتل الأبرياء من قبل تنظيم داعش.

وأنا شخصياً أرى هذا الكتاب من أفضل الكتب التي قرأتها هذا العام، لما يتمنّع به من قوة في السرد والإيضاح، وكذلك المخاطرة الكبيرة التي قام بها الكاتبان لمحاولة الحصول على المعلومات من قلب المصدر، دون الاعتماد فقط على المصادر الأخرى، وكذلك الصبر الطويل في التعامل مع العناصر الفارة من التنظيم، وكل ذلك بهدف إيصال رسالة للناس عن خبايا هذا التنظيم الجائر، وعدم الانجرار وراء رسائله الزائفة، التي تسعى لكسب ضعاف العقول، وممّا أوضحه الكاتبان وسعدت به جدا هو طبيعة الإسلام والمسلمين على الوجه الحق، والدفاع عنهم، ونأي هذا التنظيم اللا إسلامي عن المسلمين، وأنه لا يمثل الإسلام مطلقاً.

أكتب هذا المقال وأنا أسمع وأشاهد من المكتب الذي أجلس عليه، لاجئين سوريين يصطفون عن مدخل الصليب الأحمر للحصول على المساعدات في مدينة إنسبرونك النمساوية، وهذه هي أحد نتائج تنظيم داعش الإرهابي، التي نغرت المواطنين وهجرتهم من بلدانهم.

– الكتاب: «داعش: أقوال الهاربين».
– المؤلف: توماس داندوا، وفرانسوا تريغان.
– الناشر: دار غاليمار، فرنسا، 2018م.
– عدد الصفحات: 192 صفحة.

* كاتب عُمانى



مهم في تطوير البلد، أو تقديم تصوّرات خلاقة لواقع ومستقبل الناس الذين بايعوه، وقد غطى ضحاكته الفكرية بشراسته العسكرية، ويمكن القول إنّه التعبير الأفضل لما يُسمّىه بالمتخلف، هذه الحالة التي تتجسد في ادعاء علماء النفس حالة النقص إلى الأحيائية، الحق المطلق وامتلاك القدرة على فرضه من حوله، وإسقاط كل شبهات ضعف الذات بيقين شيطنة الآخر.

كذلك تحدّث الكاتبان عن الفارق بين الدين الإسلامي السمح، وبين تنظيم الدولة الإسلامية، إذ إنّ الدين الإسلامي بعيد كل البعد عن كل ما يقوم به تنظيم داعش، ولا يمثل العقيدة الإسلامية أبداً، إذ استغل بعض المعادين للإسلام تنظيم الدولة الإسلامية وتصرفاته وأسقطها على المبادئ الإسلامية والعقيدة السمحاء؛ بحيث يؤثر على المجتمعات الغربية هناك، ويُسقط هيبة الإسلام والمسلمين، وأن ما يقوم به تنظيم داعش هو ما تحدث عنه الإسلام، ولكن الكتاب يحارب ذلك، ويدعو الناس إلى التفريق بينهما، إذ إنّ كل الدول الإسلامية تحارب هذا التنظيم، وتعتبره تنظيماً معادياً للإسلام، ويسعى لنشر الخراب والفساد في الأرض.

يُمكن القول إنّ تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» بدأ يموت، إذ فقد الكثير من أراضيه، خسر الكثير من أمواله، فقد المصادر الطبيعية التي كان يعتمد عليها سابقاً كأبار النفط والغاز والفوسفات، تم قتل والقبض على الكثير من المسؤولين الكبار في التنظيم، وذلك بمشاركة العديد من الدول، عملت الدول على التصحيح ونشر المعلومات الحقيقية عن طبيعة التنظيم الإرهابي لمواطنيها، لتجنّبهم الالتحاق به، وهذا ساعد على تقليل التوافد على

تكمّن في شقين؛ الأول: رآه بعض ضعفاء القلوب أنه يتناسب مع نفوسهم القاسية، إذا يعلمون أنهم سيحصلون على السلاح والمال والسبايا، وهذا ما يطمحون له. أما الشق الثاني من الجواب، فيمكن في اعتقادهم أن هذا التنظيم «معتقد ديني قوي جدا»، وأنه أسس لرسالة سماوية، تهدف لتكوين دولة إسلامية لا تشوبها شائبة، دولة تحمل أسمى المضامين الإسلامية الحنيفة. ولكن سرعان ما خاب ظنهم، واكتشفوا وراءه الوعود الكاذبة، والرسائل المزيفة، اكتشفوا أنها من دولة تريد تطبيق الإسلام إلى دولة تريد أن تصنع التوحش، وهذا ما قاله حديفة –صاحب 28 عاماً- وأحد الهاربين من تنظيم الدولة الإسلامية، وكان أميراً لإحدى نقاط التفطيش، يقول: «إن الدولة الإسلامية دمرت آمالنا، أردنا دولة إسلامية، لكنها صنعت دولة غير إسلامية، أضاعت سمعة الإسلام والمسلمين، هناك كلهم فاسدون، لن نكونوا قادرين على تغيير عقولهم، أتمنى أن يذهبوا إلى الموت».

وعند الحديث عن الشق الثاني من الكتاب، يتحدث الكاتبان عن الأموال التي حصل عليها تنظيم داعش؛ إذ قدرت بأكثر من 500 مليون يورو، كانت مؤدعة في البنوك، كما استولى التنظيم على آبار النفط، واحتياطي الغاز الطبيعي، والفوسفات، والقمح والشعير... وغيرها من المواد الأخرى، وقاموا بفتح خطوط بيع مع دول أخرى بسعر أقل من السعر العالمي، ويمكن القول إنّ تنظيم الدولة الإسلامية أصبح منظمة غنيّة برأس المال الكبير الذي تحتويه، وأصبحت توفر قاعدة إدارية شبه حكومية.

وعن نجاح داعش في تجنيد مقاتلين أجانب، يشير توماس داندوا وفرانسوا تريغان بقولهم: لعل من فضائل داعش أيضاً معرفتها بما يسمى «المهاجرين»، مُستوهم الثقايف والسياسي ضعيف جداً، ويكاد مُستوهم لا يتجاوز الصفر، ومحدودية وعيهم الديني، والمشكلات الذاتية، والموضوعية التي حولتهم لمشاريع انتحار. لهذا يتعامل تنظيم داعش معهم كالمقطيع، إذ يقوم بغسيل عقولهم، واتباع سياسة لاستقطابهم تقوم على قواعد بسيطة: المال والسلطان وزينة الحياة الدنيا؛ اضرب الرأس لتلقبك العناصر، الأحسن يُصاها رهنها، والباقي يلتحق بالبحور العين. ولا شك أن للضباط السابقين في الجيش لدول أخرى دوراً مهماً في فرز الأفراد والجماعات، وتوظيف واستيراد الغرباء لمشروع «الخلافة»، وعن بداية نشوء التنظيم، يُمكن القول إنّه لم يكن يوجد لدى أبو مصعب الزرقاوي مؤسس تنظيم داعش في جعبته السياسية والأيديولوجية ما يسمح له بدور



«الثقة بالنفس: بناء مؤسسة فائقة من الثقة الذاتية» لبيريستر شارما

زينب الكلبانية *

«إذا كنت تثق بنفسك، فيمكنك فعل أي شيء في حياتك؛ ويمكنك تحقيق أي شيء كذلك، العالم كله ملكك لا شيء مستحيل بالنسبة لك.. هل تريد تحسين ثقتك بنفسك، وترغب في تحقيق نجاح كبير في حياتك؟ ابدأ الآن، وابن الأساس الفائق من ثقتك بنفسك في داخلك، وتحقيق هدفك على الوجه المطلوب»، هذا ما أشادت به الكاتبة المشهورة بيريستر شارما في كتابها «الثقة بالنفس.. بناء مؤسسة فائقة من الثقة الذاتية مع نصائح سهلة وبسيطة»! والذي يتكون من اثنين وأربعين فصلاً، لكل منها عنوان خاص لإعداد نفسك، وتحسين صورتك الذاتية، والبحث عن نفسك، والتمسك بأهدافك، والتعلم من أخطائك، وإثراء احترام الذات الخاص بك، ومعرفة نقاط القوة والضعف في شخصيتك، وكيف تتغلب عليها، وصولاً إلى تكوين النفس الذاتية المنفردة المجتازة. الثقة بالنفس، والتأكيد على الذات، هما مهارتان أساسيتان للنجاح في الحياة، إذا كنت لا تشعر بالاستحسان، أو أنك لا تعرف كيف تعبر عن قيمتك الذاتية عند التواصل مع الآخرين، فإن الحياة يمكن أن تكون مؤلمة للغاية! ستوفر هذه المهارات الفرص والمزايا للمشاركين في حياتهم المهنية والشخصية.

ومع ذلك، كما تقول بيريستر شارما، من المهم أن تكون صورتك الذاتية إيجابية وواقعية. يمكن أن يكون امتلاك صورة ذاتية غير واقعية عيباً؛ سواء كانت تلك الصورة الذاتية سلبية أو إيجابية. في بعض الأحيان قد يكون للفكر أو النقد السلبي من حين لآخر التشجيع على التغيير والعمل الجاد والنمو والنجاح، وفي أحيان أخرى تكون صورة الشخص الإيجابية عاملاً كبيراً للغاية؛ مما قد يشجع الرضا عن الذات، والانحدار، والغرور. إن إيجاد التوازن بين الشعور بالإيجابية تجاه الذات مهم، ولكن وجود أهداف واقعية أمر أهم.

الجميل حقاً هو أن بيريستر شارما أوضحت في كتابها طرقاً لكيفية التعلم من الأخطاء، وصرحت قائلة: يمكنك أن تتعلم فقط من الخطأ بعد أن تعترف أنك قمت به، بمجرد أن تبدأ بإلقاء اللوم على الآخرين (أو الكون نفسه)، فإنك تنأى بنفسك عن أي درس ممكن، لكن إذا وقفت بشجاعة وتقول بصدق «هذا خطأي وأنا مسؤول»، فإن احتمالات التعلم ستتحرك نحوك. إن قبول خطأ، حتى لو كان ذلك على انفراد فقط، يجعل التعلم ممكناً من خلال نقل التركيز بعيداً عن مهام اللوم والتوجه نحو الفهم. الحكماء يعترفون بأخطائهم بسهولة، إنهم يعرفون أن التقدم يكون أيسر عندما يفعلون.

الانطباعات الذاتية التي تراكمت مع الوقت: ما هي آمالك وأحلامك؟ ما رأيك وكيف تشع؟ ماذا فعلت طوال حياتك؟ وماذا كنت تريد أن تفعل؟ يمكن أن تكون هذه الصور الذاتية إيجابية للغاية، مما يمنح الشخص الثقة في أفكاره وأفعاله، أو سلبياً؛ مما يجعل الشخص مشكوكاً في قدراته وأفكاره، من المستغرب أن تكون صورتك الذاتية مختلفة تماماً عن نظرتك للعالم، بعض الناس الذين يبدو ظاهرياً أنهم يملكون كل شيء (الذكاء والمظهر والنجاح الشخصي والمالي) قد تكون لديهم صورة سيئة عن الذات، وبالعكس، قد يكون لدى الآخرين الذين عانوا حياة صعبة للغاية، ومصاعب متعددة، صورة ذاتية إيجابية للغاية، يعتقد البعض أن صورة الشخص الذاتية محددة بالأحداث التي تؤثر عليها - سواء أكانت جيدة أم لا، في المدرسة أو العمل أو العلاقات- ويعتقد آخرون أن صورة الشخص الذاتية يمكن أن تساعد على تشكيل تلك الأحداث، ربما هناك بعض الحقيقة في كلتا مدرستي التفكير: الفشل في شيء ما يمكن بالتأكيد أن يجعل المرء يشعر بالسوء تجاه نفسه، مثلما يمكن للشعور بالرضا عن نفسه أن يؤدي لأداء أفضل في مشروع ما، ولكن لا يمكن إنكار أن صورتك الذاتية لها تأثير قوي على سعادتك، ويمكن أن تؤثر نظرتك للحياة على من حولك، إذا عرضت صورة ذاتية إيجابية، فمن المرجح أن يراك الناس شخصاً إيجابياً قادراً.

ستمنح ورشة عمل «تأكيد الذات والثقة بالنفس» المشاركين فهماً لما تعنيه كل من الحزم والثقة بالنفس (بشكل عام ولهم شخصياً)، وكيفية تطوير هذه المشاعر في حياتهم اليومية، ستشمل هذه المهارات العديد من جوانب حياة مشاركتك، ويكون لها تأثير إيجابي على كل منها.

عندما نؤمن بأنفسنا، يمكننا المخاطرة بفضول، أو عجب، أو فرحة عضوية، أو أي خبرة تكشف الروح البشرية عادة ما يكون الشخص ذو الثقة بالنفس معجباً بنفسه، ويرغب في المخاطرة لتحقيق أهدافه الشخصية والمهنية، ويفكر بإيجابية حول المستقبل. ومع ذلك، فإن الشخص الذي يفتقر إلى الثقة بالنفس يكون أقل احتمالاً للشعور بأنه يمكنه تحقيق أهدافه، ويميل إلى أن يكون لديه منظور سلبي عن نفسه، وما يأمل في اكتسابه في الحياة، الخبر السار هو أن الثقة بالنفس شيء يمكنك تحسينه.

إن بناء الثقة بالنفس يتطلب منك أن تبني موقفاً إيجابياً عن نفسك وتفاعلاتك الاجتماعية، بينما تتعلم أيضاً التعامل مع أي مشاعر سلبية تنشأ، وممارسة قدر أكبر من العناية الذاتية، يجب أن تتعلم تحديد الأهداف والمخاطر، كذلك لأن مواجهة التحديات يمكن أن تزيد من تحسين ثقتك بنفسك.

تقول بيريستر شارما في كتابها إن الصورة الذاتية هي الطريقة التي تدرك بها نفسك، إنها عدد من



يكفي لاتخاذ الانتقادات البناءة ورفض العاطفية منها. هذا لا يعني أنهم متكبرون، على العكس من ذلك، فإنهم يمنحون الجميع الفرصة لوضع نقاطهم. ومع ذلك، لديهم الشجاعة على التمسك بقرارتهم على الرغم من الكثير من المعارضة لأفكارهم، وإذا كانوا مقتنعين بأن ما يقومون به هو الصحيح.

وعند المقارنة بالأشخاص ذوي الثقة العالية بالنفس، فإننا نجد أن الأشخاص ذوي الثقة بالنفس الضعيفة لديهم نظرة قاسية وانتقادية جداً لأنفسهم، هم عرضة لاتخاذ قرارات عاطفية، بدلا من التفكير بعقلانية، يميلون إلى أن يكونوا في «كهوفهم» بدلا من مقابلة أشخاص جدد، يحاولون تجنب الشركة الجديدة وتجنب مقابلة أشخاص جدد.

يميل الشخص الذي يفتقر إلى الثقة للشعور بأنه ليس لديه أي تبعية بناءة يمكن إضافتها إلى أي عملية. هذا الشعور بانخفاض قيمة الذات، بالإضافة إلى الإنكار التام لأي تغيير، يجعل الشخص الأقل ثقة أقل عرضة لسوء المعاملة والتقليل من القيمة. الناس الذين لديهم ثقة منخفضة يترددون في مشاركة أفكارهم وآرائهم، لأنهم يعتقدون أن آراءهم سوف يتم السخرية منها علنا. بالإضافة إلى ذلك، فإن تجاربهم وتفاعلاتهم السابقة مع الناس لم تفعل أي شيء لتعزيز قيمتهم الذاتية وتغيير وجهات نظرهم حول إنتاجيتهم وأهميتهم.

هذا هو المكان الذي يأتي فيه جو إنتاجي. يتعلم كل شخص من محيطه وتعتمد ثقته بنفسك على نوع الأشخاص الذين تقابلهم ونوع المناقشات التي تجري معهم. في حين أن الأشخاص الذين يتمتعون بالثقة الذاتية يتفاعلون مع الأشخاص الذين لديهم شيء يمكنهم التعلم منه، فإن الأشخاص الأقل ثقة يقنعون بأنهم لا يستطيعون التغيير، وأنهم سيكونون أقل من قيمته الحقيقية على الرغم مما يفعلونه.

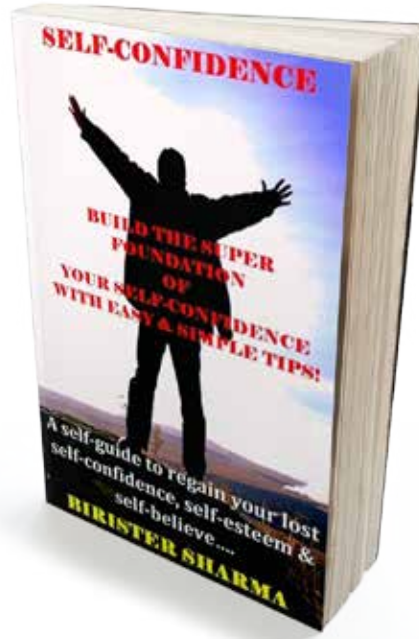
– الكتاب: «الثقة بالنفس.. بناء مؤسسة فائقة من الثقة الذاتية مع نصائح سهلة وبسيطة».

– المؤلف: بيريستر شارما.

– اللغة: الإنجليزية 2017م.

عدد الصفحات: 184 صفحة.

* كاتبة عُمانية



إذا كنت تعتقد أنك مهم بالنسبة للأشخاص من حولك، وأنت تسهم في تطوير محيطك، وأنت تمثل رصيداً قيماً في حياة الآخرين؛ فيمكنك أن تقول إن لديك تقديراً عالياً للذات.

بعبارة أخرى، يعتقد شخص يتمتع بتقدير عال أنه يستحق العالم الذي يتواجد فيه ويدرك أهميته. في حين أن احترام الذات يعتمد على مفهوم الذات، إلا أن الثقة بالنفس تختلف تماماً. ومن ناحية أخرى، ترتبط الثقة بالنفس بالإجراء وهي أكثر تحديداً بمجال معين. إنها ليست ملاحظة مطلقة مثل احترام الذات، بالطريقة التي يفكر بها احترام الذات لقيمتك بالنسبة للعالم، على العكس من ذلك، الثقة بالنفس هي تقييمك الذاتي الإيجابي في أداء المهمة.

وتقول شارما إن الشخص الذي يكون واثقاً من قدراته في إحدى المهام قد لا يكون كذلك عند إعطائه مهمة أخرى، ومن ثم تعتمد الثقة بالنفس على المهمة الممنوحة للأداء وعلى قدرتك على القيام بعمل ما.

إن الأشخاص ذوي الثقة العالية يقتربون من مشاكلهم بشكل مختلف مقارنة بالآخرين. فهم يعرفون أهمية بناء العلاقات، ومن ثم فهم يحبون لقاء أشخاص جدد للحصول على أفكار جديدة ومشاركتها، هذه هي النوعية التي تجعلهم محبوبين من الناس والتقرب منهم، كما هم دائما على استعداد ليكونوا في محادثة تعطي أهمية متساوية والاحترام لجميع أولئك الذين شاركوا في ذلك.

ومن الجميل أيضا أن الكاتبة بيريستر شارما وضحت أن الناس الواثقين يحبون التعبير عن أفكارهم أمام الآخرين، كما أنهم آمنون عاطفيا بما

تتعارض هذه النصيحة مع الافتراضات الثقافية التي لدينا حول الأخطاء والفضل، وهي أنها أشياء مشينة، نحن نتعلم في المدرسة أو في عائلاتنا أو في العمل، لنشعر بالذنب من الفضل، ونفعل ما بوسعنا لتجنب الأخطاء، هذا الإحساس بالعار مقترن بحتمية النكسات عند محاولة فعل أشياء صعبة يفسر سبب تخلي الكثير من الناس عن أهدافهم: فهم ليسوا مستعدين للأخطاء والفضل الذي سيواجهونه في طريقهم إلى ما يريدون. إن الشيء المفقود في معتقدات العديد من الأشخاص حول النجاح هو حقيقة أنه كلما كان الهدف أكثر تحديا، كانت الانتكاسات الأكثر تكرارا وصعوبة. وكلما كانت طموحاتك أكبر، كنت أكثر اعتمادا على قدرتك في التغلب والتعلم من أخطائك.

لكن لأسباب كثيرة، فإن الاعتراف بالأخطاء أمر صعب. القيمة الضمنية في العديد من الثقافات هي أن عملنا يمثلنا: إذا فشلت في الاختبار، فأنت فاشل! إذا ارتكبت خطأ فستكون خطأ (قد لا تشعر بهذه الطريقة أبدا، لكن الكثير من الناس يفعلون ذلك. فهو يفسر سلوك بعض من طلاب المدرسة الثانوية أو الكلية) يتم إعطاؤنا درجات (A, B, C, D, F)، وعلى هذا النحو تفسر النتيجة.

بالنسبة إلى أي شخص لا يكتشف أبداً هويته الأعمق، لا يعتمد على عدم وجود أخطاء ولكن يجب عليه أن يعتمد على الشجاعة والذكاء العاطفي والالتزام والإبداع، فإن الحياة مكان مخيف، يجعله آمناً فقط من خلال عدم الوقوع في المشاكل، وعدم كسر القواعد وعدم المخاطرة أبداً أن قلوبهم تخبرهم أنهم بحاجة إلى أن يأخذوها.

وهنا، توضح بيريستر شارما أن الثقة بالنفس ليست سوى مصطلح شامل للكثير من الأشياء: القيد العاطفي، والنكته، والتعاطف، والمرونة، وعلاقات السلسلة، كلها تدخل في خلق الشخصية التي تنضج، وسيعرف الشخص الذي يتمتع بثقته الذاتية كيف يقول أشياء صادقة دون الإضرار بمشاعر الآخرين. رجل يعرف نفسه بنفسه، يعرف كيف يسمع بكرامة، عندما يكون هناك اختلاف في الرأي. كل هذا يتطلب الممارسة، ولكن أهم شيء هو الاعتقاد بأنك يمكن أن تكون أفضل، هذا هو حجر الزاوية في أي تحسن في العالم؛ كلمة الاحترام تأتي من الكلمة التقديرية التي تعني تقدير نفسك على مستوى معياري. يعني تقدير الذات تقييم قيمتك ومساهمتك في حياتك المهنية والشخصية.



«الذهب الأسود».. للوتشانو فاسبوللو

عزالدين عناية *

ساد على مدى عقود تصوّر ضبابي وأحيانا مضلل في أوساط الباحثين السياسيين والإستراتيجيين الغربيين عن منطقة الخليج العربي؛ كون المنطقة قائمة على أساس الربيع النفطية لا غير، إلى حين غَدَت تلك الرؤية بمثابة الأسطورة السياسية؛ كون كتلة الدول المتكونة من العربية السعودية وسلطنة عُمان ودولة الكويت وقطر والإمارات العربية المتحدة والبحرين، هي دول تطفو فوق بحر من النفط، وعلى صلة وثيقة في السياسة الخارجية بالولايات المتحدة. وفي الواقع، اختزنت تلك الرؤية جملة من المبالغات التي تتنافى مع الحقائق على أرض الواقع، واحتاجت عقودا للتصحيح، ولتنقشع عن المخيال السياسي الغربي.. يُعيد كتاب «الذهب الأسود» الذي نعرضه للقارئ تشكيل «المقاربة السياسية للخليج العربي»، ضمن منظور واقعي ورؤية محايدة، ويحاول الخروج من الأسطورة التي سادت في التعاطي مع السياسات الخليجية إلى نوع من الرصانة في التحليل والفهم. وهو مؤلف من إنجاز ثلثة من الباحثين الإيطاليين المهتمين بالشأن السياسي الدولي عامة والشرق الأوسط خاصة.

وفي دراسة تمهيدية مطوّلة بعنوان: «الخليج في غمار التحولات الدولية» بقلم مُعدّ الكتاب، لوتشانو فاسبوللو أستاذ مناهج الأنظمة الاقتصادية وقضايا التنمية في جامعة روما، أبرز أهمّ التحولات الجيوستراتيجية التي جعلت من دول الخليج قوةً معتبرة، ويحسب لها حساب في الشرق الأوسط. تلتها دراسة أخرى معمّقة بعنوان: «التحولات الرأسمالية في بلدان الخليج»، حاول فيها الباحث جوسيبى مارانو المهتمّ بالتنمية والتعاون الدولي، تسليط الضوء على ظاهرة «المركزية النفطية» والتحويلات الرأسمالية لبلدان الخليج، فبرز ما صاحبها تنوع السياسات في المنطقة رغم ما قد يبدو ظاهرا من تماثل بينها، جراء ما تقوم عليه تلك البلدان من عناصر متشابهة، وما يجمع بينها من روابط جامعة ميّزت المنطقة طيلة عهد. أعقبها دراسة أخرى بعنوان: «النفوذ الخليجي على نطاق واسع وعلى نطاق ضيق» ليلوكا ألتاري، مبرز ما فيها خروج النفوذ الخليجي من الإطار الضيق إلى الإطار الواسع صوب الساحة الدولية؛ لتشهد تلك الدول -بموجب ذلك- دورًا مؤثرا في الساحة الدولية؛ سواء ما تعلق منه بالشرق الأوسط، أو ما له صلة ببعض الخيارات الإستراتيجية الشاملة، وهي تحولات ما كانت عفوية حسب الباحث، بل جاءت جراء سعي إرادي لتلك الدول ليكون لها حضور فاعل على مستوى دولي.

عالية في التكوين. كما برزت أجيال شبابية جديدة لا تعيش هواجس الآباء والأجداد، وهي أجيال واعدة لما يميزها من مستويات تعليمية راقية تتطلب رؤية جديدة خصوصا مع العنصر الأنثوي في تلك البلدان. هذه التحديات ليست محصورة بدولة معينة من دول المنطقة، وإنما تنطبق على سائر الدول. ولكن كما يشير الباحث مارانو، فضلا عن التحولات الديموغرافية الأصلية، تحضر تحولات ناتجة جراء العمالة الوافدة، وهي في الحقيقة مؤثرة وترهق كافة بلدان الخليج على حد سواء، ينبغي الاستعداد للتحكم بآثارها عبر الوعي الصائب بالظاهرة والتحكم العلمي بآثارها. يقيم الكاتب مقارنة خاطفة في الشأن بين أوروبا وبلدان الخليج بشأن التعاطي مع ظاهرة الهجرة، مبرز في الوقت الذي تتكثف فيه داخل بلدان أوروبا الغربية الانشغالات الأكاديمية، المعرفية والبحثية، بأبعاد الهجرة السياسية والدينية والاجتماعية فضلا عن دورها الاقتصادي، من خلال إقامة عديد المراكز وتأهيل الباحثين المختصين في الشأن، لا تزال بلدان الخليج العربي دون التنبه بما يكفي إلى ذلك؛ حيث لا نسمع بمختصين خليجيين بشؤون الهجرة، أو بمعالجات رصينة للظاهرة بكافة أبعادها وآثارها.

معتبرًا. انعكست هذه الأنشطة في السياسة الخارجية الخليجية، من سياسة منكفئة على ذاتها إلى سياسة حاضرة في المحافل الدولية، وربما من سياسة محايدة أحيانا إلى سياسة فاعلة لها شروطها وإملاءاتها كما يقول لوتشانو فاسبوللو.

من جانبه، يتطرق جوسيبى مارانو إلى «التحولات الرأسمالية في بلدان الخليج العربي»، ويرصد الكاتب تحولا راديكاليا في الإستراتيجيات السياسية الخارجية في تلك البلدان، خلال العقد الأخير. فقد شهدت الأوضاع تبدلا مجاراة لمشهد عالمي يستشعر عمق تأثير الأزمات الهيكلية. يكفي النظر إلى الإمارات العربية المتحدة التي شهدت تحولا في الاستثمار العقاري من نسبة مئوية تعادل ٨١ بالمئة خلال العام ٢٠٠٨ إلى نسبة ٩ بالمئة خلال السنة الموالية.

ناهيك عن تحولات ديموغرافية جوهريّة، وأخرى طارئة تواجه بلدان الخليج عامة؛ ففي دولة مثل المملكة العربية السعودية مرّ عدد سكانها، سنة ١٩٥٣، من ثلاثة ملايين إلى ثمانية وعشرين مليون نسمة في الوقت الحالي. بات الأثوف من خريجي الجامعات في انتظار الدمج في الدورة المجتمعية، فضلا عن احتياجات سوق العمل التي تقتضي تنوعا في التخصصات ودربة

وفي دراسة أخيرة بعنوان «أركيولوجيا الاستعمار، ليفيانا فاسبوللو، تسلّك فيها الدارسة مسارا مغايرا في النظر إلى الجزيرة العربية، مبرزة أن المنطقة جنب كونها خزانا لثروة نفطية، تقف على ثروة أثرية أيضا ما زالت في طور الكشف. فلاشك أن المنظور السائد إلى اليوم في الدراسات التاريخية، هو منظور توراتي عامة ضمن المقاييس الغربية. وأن إزاحة الستار عن المخزون الأثري في الجزيرة من شأنه أن يصحح عديد الأحكام المتداولة، وأن يعيد رسم الخرائط الفكرية والتاريخية لمنطقة الشرق الأوسط برمتها.

وبالعودة للدراسة الافتتاحية في الكتاب لوتشانو فاسبوللو، يتبين القارئ أن كتل دول الخليج ما عاد تكتلًا نفطيا فحسب، بل قطبا للطاقة المتجددة، والبحث العلمي، تدعمه مساح اقتصادية جادة لتطوير مشاريع الطاقة المتجددة وتفعيلها، والتي ينضوي بعضها ضمن ما يُعرف بـ«الطاقة الخضراء»، وهي مشاريع واعدة بالفعل. ناهيك عن تحول المنطقة إلى منصّة حاضنة للألعاب الرياضية الدولية، وإلى حقل للمنجزات الهندسية، وللجذب السياحي بكافة أشكاله الديني والمدني. إضافة إلى ذلك، اقتحمت دول الخليج قطاعات مهمّة في السوق العالمية، ممّا حوّل لها حضورا



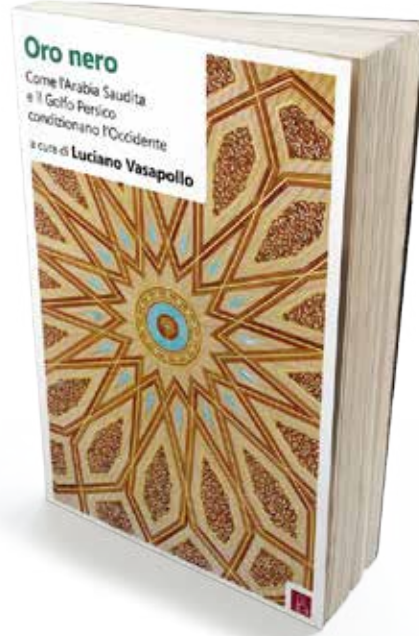
كانت على صلة بوقائع العهدين القديم والجديد. وعندما بدأت أنشطة البحث الأثري في المشرق تشهد أولى خطواتها، في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، تشكلت في كثير من البلدان هيئات انصرفت إلى تعزيز المعارف التاريخية والأثرية بأرض فلسطين، وفي مجمل الحالات بمقرات عاملة هناك. كانت أولى المؤسسات بريطانية «صندوق استكشاف فلسطين» الذي تأسس خلال العام 1865، متبوعاً بمؤسسة ألمانية «جمعية فلسطين الألمانية» (1878)، ثم «المدرسة التطبيقية للدراسات الكتابية» التابعة للآباء الدومينيكان الفرنسيين (1890م)، وفي مرحلة أخيرة «المدارس الأمريكية للبحث الشرقي» (1900م)، التي حازت على مكتب لها في القدس أيضاً. وفي روما أنشئ «المعهد الحبري لدراسة الكتاب المقدس» خلال العام 1909م، بهدف تطوير البحث الأثري، بمكتب في مدينة القدس أيضاً.

ولربما من المفيد هنا التطرق إلى قطبي علم الآثار الحضري في المشرق القديم، في مستهل انطلاق الأبحاث بين منتصف القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين: نجد بابل ونيوى من ناحية، ومن ناحية ثانية مدينة القدس. لقد حملت بابل ونيوى وزر المدينة الملعونة، فكانت كلتاها موطناً لإمبراطورية الشر، في حين كانت أورشليم/القدس المدينة المقدسة، مدينة شعب الله المختار. تنحو المؤلفة باللائمة على المؤرخين المهتمين بتاريخ بلاد المشرق، كيف أن المنطقة التي صنعت التوراة باتت ضحية رؤى التوراة التاريخية، المشحونة بالأسطورة والمركزية، خالصة إلى أن تصحيح تاريخ المنطقة لن يتيسر سوى باكتشاف التاريخ السابق للتوراة، ومنطقة الجزيرة العربية، على حد تعبيرها، أحد أعمدته القوية.

ما يلحظ عبر فصول الكتاب اعتماد الباحثين في أبحاثهم التقصي والتوثيق في ما أورده من توصيف، أو متابعات، أو فيما خلصوا إليه من نتائج، وهو ما يجعل الكتاب مصدراً مهماً لتصحيح عديد الرؤى عن بلدان لطالما عانت من الأحكام المغرضة.

– الكتاب: «الذهب الأسود.. كيف تؤثر السعودية ودول الخليج العربي في الغرب».
– الإصدار: لوتشانو فاسابوللو.
– الناشر: بوردو (روما)، باللغة الإيطالية، 2018م.
– عدد الصفحات: 230 صفحة.

* أستاذ تونسي بجامعة روما



النظرة البعيدة والرصينة. لا شك أن العامل الأجنبي الغربي هو عامل حاسم في تاريخ دول الخليج، لكن هذا العنصر برغم وطأته في المنطقة وقوة حضوره، لم يتحول إلى عنصر معرقل أو كايح لسير المنطقة نحو بلوغ التنمية وتحقيق السيادة التامة. إذ غالباً ما تحولت الصلة الرابطة بين المستعمر والمستعمر في دول أخرى إلى علاقة إشكالية، تخيم بظلالها على المسار التنموي وترهق النهوض المجتمعي. كانت دول الخليج من هذا الجانب واعية، كما يقول الباحث، بالتحرك وفق مستلزمات التوازنات الدولية، واجتياز هذا الاختبار السياسي بأقل التكاليف، وهو ما شكّل عنصر دعم لهذا البلدان.

وضمن الدراسة الأخيرة الواردة في الكتاب بعنوان: «أركيولوجيا الاستعمار» لفيضانا فاسابوللو، تبرز الباحثة أن الأركيولوجيا الشرقية بشكل عام لم تنشأ كعلم متفرع له أصوله ومجاله، بل كمبحث يهدف لإثبات صواب الكتب المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد)، وبهدف سياسي مرتبط بالتنافس بين فرنسا وأنجلترا على المنطقة. من هذا المأتى تُطلق الباحثة «أركيولوجيا الاستعمار» على مبحثها. فقد ساد على مدى عهود في الذهنية الغربية أن المنطقة العربية ليست مجالاً للدراسة والبحث والاكتشاف، بل هي مجال للاستغلال فحسب. هذه المعادلة حكمت نظرة مجمل الدارسين الغربيين على مدى عقود طويلة.

فلا ريب أن الاهتمام بأثار الأرض المقدسة (فلسطين) وما جاورها، قد عرف انتشاراً في الغرب بموجب الارتباط بالتوراة وبالمسيحيين، وازدادت العناية بالأبحاث الأثرية في وادي الرافدين ومصر كلما

من جانب آخر، بين مارانو أن «مجلس التعاون الخليجي» المتأسس خلال العام 1981 قد شكّل بحق حاضنة مهمة لتلك البلدان ومنصة إستراتيجية بالغة التأثير، لكن هذه المنصة قد اعتراها نوعٌ من الارتباك في السنوات الأخيرة بسبب الخيارات المنفردة لبعض الدول في المسائل الاستراتيجية. يشير الكاتب إلى الدور العماني لاجتياز هذا الارتباك الطارئ، من خلال محاولات راب الصدع داخل البيت الخليجي ومع بلدان الجوار على حد سواء.

وفي دراسة ضمن الكتاب بعنوان: «النفوذ الخليجي على نطاق قريب وعلى نطاق بعيد» لوكا ألتاري، وفق ما يطلق عليه «التحول داخل المتابعة»، أن دول الخليج التي تميّزت بعلاقات وطيدة مع قوى غربية، لم تغير سياساتها بشكل جذري مع تلك الدول، ومع ذلك وقّعت في إحداث نقلة في طبيعة وشكل علاقاتها معها. يضع لوكا ألتاري التحولات السياسية الاقتصادية التي لحقت بمنطقة الخليج والدول المجاورة، على مدى العقود الأربعة الأخيرة، ضمن إطار عام، مبرزاً أن مجتمعات الخليج رغم التشابه البنيوي مع غيرها من المجتمعات المجاورة وقّعت في تبادي العديد من الهزات التي عجزت دول أخرى عن الصمود أمامها. ففي قراءته للثورة الإيرانية (1979) يعتبر الحدث نتاجاً لتحولات مجتمعية عميقة من مجتمع شبه إقطاعي إلى مجتمع يتطلع إلى التحديث والتطور. بلدان الخليج الشبيهة بنويوا، وفق منظور الكاتب، استطاعت أن تحقّق هذا التحول بأقل التكاليف وبشيء من السلاسة وبأمان من الهزات الكبرى، وهو ما راكم في هذه الدول آثار الاستقرار السياسي، الذي بات يتترجم في حضور فاعل على المستوى الإقليمي والدولي. إذ لم تدخل بلدان الخليج في مغامرات إيديولوجية، أو في تحالفات عسكرية بعيدة عن مصالح المنطقة؛ مما ضمن لها استقراراً ودوراً معتبرين وحوّلها إلى منطقة جاذبة بدلاً من أن تكون منطقة طاردة بفعل قساوة الطبيعة وشحّ الموارد غير النفطية والغازية. فمما لا شك فيه أن بلدان الخليج قد عانت، عبر التاريخ الحديث، من التدخلات الأجنبية ومن القوى الطامعة ومن أشكال الانتداب، إلا أن هذه الدول استطاعت رغم ما مسّ حرية قرارها أن تحافظ على هويتها الوطنية والقومية إلى أن حققت سيادتها التامة. ويبرز لوكا ألتاري قائلاً: لم تخامر بلدان الخليج بخوض تحولات جذرية على الطراز الثوري الذي شهدته بلدان عربية أخرى، واستطاعت أن تسلك تحولات هادئة مكنتها من تحقيق إنجازات معتبرة، ما كان لها أن تبلغها لولا



«عن الإستراتيجية الكبرى».. لجون لويس جاديز

فاتنة نبيل *

يرجع مصطلح الإستراتيجية إلى اللغة اليونانية من الكلمة الإغريقية (Strato)، وتعني الجيش أو الحشود العسكرية، فيما تعني كلمة (Strategos) فن الحرب أو التخطيط العسكري، ومن ثم فقد ارتبط المصطلح في بدايته بالعسكرية وفنونها؛ حيث كانت تدل على رغبة القائد في وضع خطة مستقبلية من أجل الحصول على مكاسب وانتصارات، وتحقيق أهداف عسكرية مختلفة. ويختلف مصطلح «الإستراتيجية الكبرى» عن المفهوم البسيط لكلمة الإستراتيجية؛ إذ يشير إلى جميع الموارد التي يمكن أن تركز عليها الدولة؛ عسكريا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا؛ لتعزيز مصالحها الخاصة على الساحة العالمية؛ فالإستراتيجية بوجه عام تعني أصول القيادة، والتخطيط عالي المستوى، وقد تكون عسكرية أو سياسية أو اقتصادية، وهي علم وفن التخطيط والتكتيك والعمليات.

ولا يُقدّم المؤرخ البارز وكاتب السير الذاتية للحرب الباردة جون لويس جاديز، في كتابه «عن الإستراتيجية الكبرى»، دراسة تحليلية مقارنة، بقدر ما يقدم تاريخا عن الإستراتيجية على نطاق واسع على طريقة الدراسات الكلاسيكية التي انتهجها أنجلو كودفيللا، وإدوارد ميد إيرل، وويليامسون موراي... وغيرهم؛ إذ يُؤكّد الكاتب في جل كتاباته عن الإستراتيجية أن «الإستراتيجية الكبرى» يجب أن تكون بعيدة عن المشاعر الذاتية، والأنا، والحكمة الأخلاقية التقليدية.

بل إن الواقع يقول إنها طرق لخداع الملايين ومحكوم عليها بالفشل، وبدلا من ذلك يجب أن تنتهج القيادة الأخلاقية «فن الممكن» لتحقيق «الخير الأكبر»، فلم يقدم أوغسطين مدينة الله على مدينة الإنسان، مؤكداً أن مدينة الله عند أوغسطين نص أدبي فضفاض، تتناوب فيه الدوامات الهوائية والملائكة والشياطين والأساطير والتاريخ مع بعضها البعض دون ترتيب معين.

ويرى جاديز أن المسار الأفضل للولايات المتحدة الأمريكية هو حشد استعداداتها للأزمات التي لا يمكن تجنبها، مع الإيمان الكامل بأنه ليس من الضروري أن تكون مثاليين لكي تكون جيدين.

لاحظ جاديز أن هناك دروساً يُمكن أن نستفيد منها من التاريخ؛ منها: أن التمدد المفرط وتوسع النفوذ واستخدام وسائل مريبة لتحقيقها، يسمح للأعداء ببسط نفوذهم، ويقدم أمثلة للتوسع مثل التوسع الفارسي في أثينا، والإسباني في القناة الإنجليزية والبريطاني في أمريكا، هذه الأمثلة على الطموح الإستراتيجي الخاطئ والتدخل العسكري غير المحسوب هي أكثر النقاط التي يلقي عليها المؤلف الضوء.

ويربط بين التاريخ القديم والحديث لتقديم إرشادات عملية إلى الخبير الإستراتيجي المعاصر، فكما لاحظ ثوسيديديس -الذي يعتبر السلف الأصلي لمدرسة الواقعية السياسية- أن «الأقوياء يفعلون ما يوسعهم، والضعفاء يعانون مما يفرض عليهم»، يعلمنا التاريخ أن القوة لا تتحلّى بالحكمة بالضرورة..

إن جاديز مفتون بالمخاطر التي خاضها رجال الدولة عبر التاريخ؛ فيتحدث عن فترة حكم «ويلسون» أول حاكم ديمقراطي يفوز بولايتين متتاليتين بعد «أندرو

التي لا مفر منها نتيجة الانتشار الواسع المساحة لمدة زمنية طويلة، وكيف تبدد الحلم -الإمبراطوري- على يد جيل ميت من مجلس الشيوخ الروماني، وفي القرن العشرين عُرف «ستالين» بسلطويته وقسوته، فأدّت سياساته الاستبدادية إلى قتل الملايين من مواطنيه، وفي المقابل قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي؛ مما مكّن الاتحاد السوفييتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى التي نافست الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة، والتي انتهت بفوز الأمريكيين وانهيار وتفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991. ويرى جاديز أن الإستراتيجيين العالميين الأكثر نجاحا برجماتيون، يتمتعون بالمرونة والصبر بما يكفي للاستفادة من الأحداث والفرص التي قد تتكشف بدلا من التوافق والتواؤم مع مخططات جاهزة مسبقا، ويتصيدون الفرص لاستغلال سقطات الأعداء والأصدقاء وزلاتهم.

لا يعتبر جاديز المسائل الأخلاقية أكثر من كونها الحكمة الذاتية والوعي الذاتي بتأثير القائد على من حوله، وتقديره للمفارقة، ويذكر رأي «القديس أوغسطين» في الحرب؛ فهو ليس لديه أي مشكلة مع الحرب إذا كانت هي الملاذ الأخير لإنقاذ الحضارة، والتي بدونها لا يمكن أن يكون هناك هدوء أو دين منظم، وأن مغازلة المخاطر المحسوبة أمرٌ ضروري؛ فالخطر ليس دائما خطرا عندما يكون تعبيرا طبيعيا عن المزايا الوطنية ويمزج بين الجرأة بالحذر.

ويؤكد جاديز أن الأخلاق الحقة لا تشمل أي تدخل من الدين المسيحي، ولا تتطلب البحث عن طوباوية،

وقد سجّل جاديز ملاحظته حول التشابه بين عدد كبير من القادة، مؤكداً أن كثيرا منهم كانوا عباقرة، منذ الجنرالات الذين قادوا الحملة الأثينية على صقلية، يوليوس قيصر في روبيكون، ونابليون وهتلر على حدود روسيا، وليندون جونسون في فيتنام، وتساوى جميعهم لديه في النجاح التكتيكي مع وجود إستراتيجية للهيمنة المستقبلية، لكنهم ضلّوا أنفسهم في تقدير ما يملكون من مزايا مادية، ومعنوية؛ مما أدى بانتهاء الأمر إما إلى الموت أو الهزيمة. ويعدّد أمثلة للإخفاقات الإستراتيجية؛ مثل: غزو زركسيس لليونان، ونابليون لروسيا، وأخطاء هتلر، وتجربة أمريكا في فيتنام، والتي عانت من طموحات غير محددة بدقة، ولم يكن هناك تحليل متماسك للقدرة المطلوبة، ونقص الحس السليم. ويؤكد جاديز أن أفضل طريقة لصقل التفكير الإستراتيجي هي فهم التفاعل بين التاريخ والأدب والفلسفة عبر ألفين وخمسمائة عام من الحضارة الغربية؛ فدراسة الإستراتيجية تتطلب الموازنة في فهم التفاصيل، والتواضع، كما تتطلب حكمة تتمثل في وجود خطط بديلة للحالات الطارئة.

إن فهم المفارقة أمر ضروري للقائد؛ فتولستوي يرى أن الأشياء السيئة يمكن أن تأتي من النوايا الحسنة، والعكس، يرى جاديز أن أفضل الجنرالات هم الذين يعيشون ويتفاعلون مع المفارقات، وأشد الأخطار على الإستراتيجية هي الغطرسة، فهي ما جعلت الإثنيين الديمقراطيين يقومون بهاجمة «سيراكيوز المحايدة والديمقراطية على بعد خمسمائة ميل، والغطرسة العمياء ذاتها جعلت «قيصر» يحاول إجبار الجمهورية الرومانية على الهيمنة العالمية دون إدراك كامل للنكسة



العالمية والمحلية التي تغذي التفكير الإستراتيجي، كما لو كانوا يعتمدون التعقيم على هذا القصور.

ويوضع مجلد «الإستراتيجية الكبرى» جنباً إلى جنب مع دراسة بول كيندي تحت عنوان «إستراتيجيات كبرى في الحرب والسلام»، والتي تناول خلالها إستراتيجيات في الأدب والنظام السياسي، والنظام العالمي. ويهدف كتاب جاديز إلى التنبؤ بمستقبل أمريكا المشرق في ضوء ما كانت عليه عند تطبيق إستراتيجية كبرى ناجحة، وأصبحت من خلالها قوة عالمية بارزة في القرن العشرين، وتفوّقت في صراعين عالميين، إضافة إلى الحرب الباردة، وعلى النقيض من ذلك أدى إهمال المتغطرسين من القادة للفكر الإستراتيجي إلى الغوص في مستنقعات ما بعد الحرب، ومعاناتها من الركود والعواقب المتضاربة التي غالباً ما استنزفت الموارد الأمريكية، ووضعتها أمام أهداف مستحيلة، وكادت أن تؤدي إلى تمزق البلاد على مدى السبعين عاما الماضية.

يقدم جاديز مجموعة دقيقة منتقاة من المفكرين والكتاب والملوك والغزاة، بمن فيهم ميكافيلي وكارل فون كلوزويتس، ومارك أنطوني ويوليوس قيصر، وتولوستوي وشكسبير، والمفكر السياسي إيزايا برلين، والعسكري الصيني الإستراتيجي صن تزو، الذي يسخر المؤلف من تعميماته غير الدقيقة، وف. سكوت فيزجرالد، كما يقيم لويس جاديز الإستراتيجية بين الممارسة والنظرية عند هيرودوت، وأوكتافيان، والقدسي، وأوغسطين، وميكافيلي، وإليزابيث الأولى، وتولستوي، ولينكولن... وغيرهم.

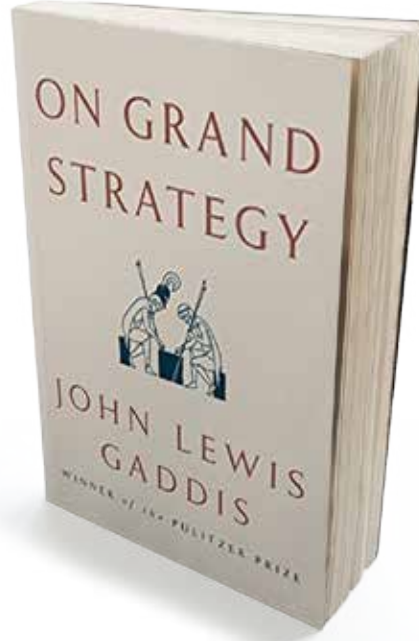
يُمكن القول إن كتاب «الإستراتيجية الكبرى» هو كتاب مُميّز للمهتمين بفض القيادة؛ إذ إنه يعالج تحديات إستراتيجية طويلة الأجل في مجال السياسة والتغيير الاجتماعي، ويعتمد على دراسة التاريخ والكلاسيكيات والفكر السياسي كأدوات أساسية لفهم العالم المعاصر، ويستكشف كتاب «الإستراتيجية الكبرى» كيفية الوصول لغايات وأهداف بعيدة؛ من خلال وسائل محدودة، سواء في الصراع العسكري، أو السياسة الخارجية أو الداخلية، أو الحركات الاجتماعية، وي طرح مجموعة كبيرة من وجهات النظر في القضايا الأمنية؛ سواء الأمن القومي أو الأمن العالمي أو الضمان الاجتماعي. ويهدف إلى تطوير قدرات المهتمين ليس فقط بتحليل الماضي والحاضر، بل أيضا بتعزيز قدراتهم ليكونوا مواطنين مسؤولين في المستقبل.

– الكتاب: «عن الإستراتيجية الكبرى».

– المؤلف: جون لويس جاديز.

– الناشر: أسبن، الولايات المتحدة الأمريكية، 2018م.

– عدد الصفحات: 368 صفحة.



ما هو ضروري لحراسة الملكة والوطن، وبينما كانت الملكة اليزابيث منضبطة وماهرة، كان نابليون عبقرياً، لكنّه أصيب بيجنون العظمة، وتعتبر حرب فرنسا ضد روسيا جزءاً من الحروب النابليونية، فقد سعى للانقضاض على القيصر الكسندر، واجتاح القائد الفرنسي موسكو في يونيو عام 1812 محاولاً العثور أي شيء ذي قيمة إستراتيجية.

يسخر جاديز قائلاً: «إن أعظم عبقرية عسكرية بعد يوليوس قيصر، في حربه على روسيا، كان كالكب الذي طارد سيارة فانضجرت فيه»، فقد كان مصير الجنود الفرنسيين البالغ عددهم ستمائة وخمسين ألفاً، والذين اقتحموا العاصمة الروسية هو الفشل، وبحلول شهر ديسمبر تلاشى جيش نابليون، ولم يتبق منه سوى سبعة وعشرين ألف جندي؛ بسبب عدة عوامل؛ منها: اتباع ألكسندر الأول سياسة الأراضي المحروقة؛ مما أدى لنفاد مؤن الجيش الفرنسي، والشتاء الروسي القارس؛ فبدأ الجنود الفرنسيون يتساقطون بسبب الجوع والبرد، وكمعظم الحروب التي خاضها نابليون، بدلاً من أن تدعم تلك الحرب سلطة نابليون، زادت سوءاً بعد هزيمته وخسارته لمعظم جنوده، فقد كان في اعتقاد نابليون أنه حين يحتل روسيا سيضغط على إنجلترا من أجل المفاوضات، عن طريق إجبار إمبراطور روسيا ألكسندر الأول على وقف طريق التجارة بين روسيا وبريطانيا. أما الهدف الذي أعلنه نابليون، فهو تحرير بولندا من الروس.

يقدم كتاب «الإستراتيجية الكبرى»، قاعدة في التخطيط الإستراتيجي هي «أنك إذا كنت تبحث عن أهداف تتعدى إمكاناتك، فعاجلاً أم آجلاً سيتعين عليك تقليص تلك الأهداف لتناسب إمكاناتك».

ويعيب جاديز على المؤرخين الأكاديميين في أن أبحاثهم ضيقة، ويهملون العلاقات بين العام والخاص، والمعرفة

جاسون»، ودخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى في مايو 1917، عندما استأنفت ألمانيا حربها المفتوحة بالغواصات؛ فطلب «ويلسون» من الكونجرس إعلان الحرب من أجل «جعل العالم مكاناً آمناً للديمقراطية». وأجرت الولايات المتحدة عدة عمليات عسكرية إلى جانب الحلفاء، رغم أنها لم تتحالف معهم بشكل رسمي. وخلال الحرب، ركز ويلسون على النواحي الدبلوماسية والمالية، وترك أمور الإستراتيجية العسكرية للجنرالات، وبالأخص الجنرال «جون بيرشنج».

أقرضت الولايات المتحدة المليارات من الدولارات لبريطانيا وفرنسا وغيرهما من الحلفاء لتمويل الجهود الحربية. وقام ويلسون بإقرار قانون الخدمة الانتقائي، فتم تجنيد عشرة آلاف فرد يومياً وترحيلهم إلى فرنسا بحلول صيف العام 1918، وفي الوقت ذاته لم يمنح اللجوء السياسي لـ«نيكولا الثاني» إمبراطور روسيا وعائلته عندما أُطيح به في العام 1917. وعلى الجبهة الداخلية، قام ويلسون برفع الضرائب على الدخل، واقترض مليارات الدولارات من الشعب بشرائهم سندات الحرية، ورغم ذلك لم ينجح في إقامة سلام ما بعد الحرب -على حد تعبير المؤلف- وفي المقابل، يجسد إبراهيم لنكولن نموذج البصيرة الإستراتيجية العميقة المصحوبة، بالعزم والتصميم، والجانب الأخلاقي، فقد قرأ بنهم، وطبق بشكل عملي مبدع دروس التاريخ، وأدرك أن الحرب الأهلية دامية وفضيحة التأثير، كما شدد على قيام الدولة الأمريكية بإنقاذ روحها المظخرة بالعبودية. ويذكر جاديز أن «فرانكلين روزفلت» كان يعتقد «أنه أنقذ الديمقراطية والرأسمالية»، وأدرك مبكراً أن الإمكانيات العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة يمكن أن تنفذ أوروبا وآسيا إذا تم إعداد الأمريكيين المترددين مادياً ونفسياً لحرب حتمية قادمة، كما تحدث جاديز عن الفخ الكارثي الذي وقعت فيه أمريكا خلال حرب فيتنام.. قائلاً: «لقد أهلكنا علاج تلك الصدمة»، ويقدم تحليلات جورج بوندي مستشار الأمن القومي في حرب فيتنام كدليل على صحة رؤيته؛ فقد سجل بوندي تأملاته الخاصة في محاولة لفهم جوهر الالتزام بحرب لا يمكن الفوز بها، وكتب بوندي «أن المبدأ الأساسي للتدخل في فيتنام» هو «ألا تكون نمراً من ورق»؛ فبالنسبة لبوندي يتفوق مفهوم المصادقية على شرط النصر، وأنه مهما كان الفشل والخسائر ستكون أفضل من عدم التدخل على الإطلاق.

ويرى جاديز في نجاح الملكة إليزابيث خلال القرن السادس عشر في توطيد حكمها مخططاً إستراتيجياً رشيماً ومحكماً، يتميز بتناغم الأضداد، والثبات على الوطنية، وإصرار الملكة على الحفاظ على تحقيق الغايات المرجوة في حدود الوسائل المتاحة، ويؤكد أن إليزابيث كانت قاسية ونفعية عهدت لسير فرانسيز فالسينجهام وزارة الخارجية عام 1573، وأمرته بفعل كل



«هشاشة الاهتمام بالآخرين: أدورنو والرعاية الأخلاقية»

لإيستيل فيراريز

سعيد بوكرامي *

يحدّد ويقوّي كتاب «هشاشة الاهتمام بالآخرين: أدورنو والرعاية الأخلاقية» النظرية النقدية النسوية؛ لأنه يُسائل الفلسفة الاجتماعية لثيودور و. أدورنو، ويقترح التفكير في بعض مفاهيمها؛ ومن ضمنها: نظريات الرعاية عامة، وأيضا من خلال مسألة الهشاشة الاجتماعية التي تتمثل في القلق على مصير الآخرين بصفة خاصة. كيف تظهر المبادرة الأخلاقية في أنماط حياتنا الرأسمالية التي تركز اليوم على اللامبالاة الواسعة الانتشار؟ وما هي هذه الظروف الاجتماعية؟ تتمثل الفرضية في أنّ الرأسمالية تجزئ الاهتمام بالآخرين، وتحدّ من تطوره المحتمل عن طريق إسناده إلى النساء، في الحقول والمهام التي تكون دائما محددة سلفا. وبناء عليه، كيف نفهم المحتوى الأخلاقي للرعاية الذي يعمل به بالفعل؟ بمجرد أن نتبيّن أنه نتاج توزيع جنساني للأنظمة الأخلاقية السائدة، بحكم أن هذه الأخيرة هي شرط من شروط السوق الاقتصادية!

تُعلن مؤلفة هذا الكتاب عن الخطوط الأولى التي تهدف لـ«إعادة تسليح النقد من خلال القضايا النسوية». وهنا، تتمثل إحدى نقاط القوة الرئيسية للكتاب في أنه يجسّد عرضا جديداً ومميزاً إلى حدّ بعيد ما بين العديد من موضوعات التفكير. وتكمن الأهمية في عملها أيضا في التقاء الفلسفات الأخلاقية والاجتماعية، ودراسات النوع الاجتماعي، والرعاية الأخلاقية والنسوية، والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت. إن أبحاث فيراريز تعتمد الشروط الأساسية في علم الاجتماع لمقاربة جميع قضايا النسوية وآثارها، وانعكاساتها.

الكاتبة المتعددة في جميع مظان الكتاب، يمكن التشكيك في معنى الرعاية وآثارها الأخلاقية عندما نتحدث عنها في مجتمع رأسمالي مثل المجتمع الغربي. وقد وضعت الكاتبة محاور تفكيرها ضمن أربعة فصول تقدم تباعا المساهمات الفكرية الاجتماعية الرئيسية لأدورنو حول هذه الموضوعات ونقاط الالتقاء، والاختلاف والتكامل بين عمل الفيلسوف الألماني ونظريات الرعاية الأخلاقية والنقد النسوي.

تصرح فيراريز في البداية بأن نظريات الرعاية، يجب أن تكون المصادر الاجتماعية لفهم المعاناة الإنسانية في كل مكان وزمان، دون تمييز جنسي. ويجب أن تعد من الأشياء الرئيسية للنقد: «النظرية النقدية تجعل من فهم المعاناة شرطا للمعرفة الحقيقية» (ص: ١٤). من خلال التركيز على «الجانب المادي والعيني للفعل الأخلاقي» (ص: ٢٠)، فإن هذه المقاربات النظرية تظهر شكلاً من أشكال الاهتمام بالآخرين. وينعكس هذا الاهتمام أيضا في العناية التي تمنح إلى «الفرد» بدلا من «الأفعال»، و«العمومي» بدلا من «الخصوصي». بالنسبة لأدورنو العمومي والكوني هما في الواقع مجرد وجهة نظر للفئة المهيمنة؛ لأن لدينا وجهات نظر محددة وخاصة فقط: «المعرفة الوحيدة التي تصاحب عملنا هي جزء من المعرفة الممزقة، السلبية، الجوهرية للوضع» (ص: ٢٦).

أن تنزل إلى مستوى الممارسة العملية، كما عليها ألا تهادن، ما دام هدفها التحكم في طبيعة الإنسان لتسيير حياته الذاتية ومعه الطبيعة؛ بهدف رفع الوعي الاجتماعي الشامل الذي يستطيع تحمل مسؤولية التغيير في المجتمع.

وتُشير عبارة «أخلاقيات الرعاية»، أو «الاعتناء»، إلى موضوع دراسي يصبُّ في مجال علم الأخلاق بصفة عامة، لكنّها بالإضافة إلى ذلك فهي أخلاقيات اجتماعية تهم المجتمع جنسيه، وكلاهما يرتبط بمقاربة محددة تجاه ضعف الآخرين. وبالتالي، فإن الرعاية تشير إلى نشاط الرعاية في المجالين الخاص والمنزلي، ولكن هذا المفهوم يشير أيضا إلى مجالات مهنية مختلفة تتعلق في المقام الأول بالعمل الاجتماعي والرعاية؛ لذلك فإن الأنشطة الاجتماعية وأخلاقيات الرعاية مبنيان على «الاهتمام بالآخرين» والذي -بحسب الكاتبة- يشمل «مختلف التصرفات والتأثيرات، شريطة أن تأخذ بعين الاعتبار احتياجات وآلام الآخرين» (ص: ١١).

إنّ الصلة بين الرعاية ودراسات النوع الاجتماعي ومقاربات النسوية تُصبح واضحة تماما عندما ندرك أن الممارسات في المجتمع «تؤثر»، ومهن الرعاية تؤوّل أساسا إلى النساء. وهنا يبرز هدف فيراريز المتمثل في البحث عن كيفية قيام نظرية أدورنو النقدية ونظريات الرعاية بتعزيز بعضها البعض. وفي الواقع، كما يتبين من أسئلة

تتحدث الكاتبة في البداية عن مدرسة فرانكفورت، وهي الاسم الذي يُطلق على نظريات مجموعة من الباحثين في الفلسفة والعلوم الاجتماعية، التي كان مقرها في الأصل في معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية منذ عشرينيات القرن العشرين، وتتقاسم مناهج فكرية مشتركة في هذا الموضوع، الذي تطلق عليه مصطلح «النظرية الحرجة». وهو يعتمد في المقام الأول على الفلسفة الماركسية والاجتماعية والأخلاقية لدى هيجل ونيته، وبعض الكتاب الكبار في علم الاجتماع والتحليل النفسي، في منظور نقد الرأسمالية والأعراض المرضية الاجتماعية الناجمة عنها. إذا كان المثقفون المتمثلون لهذا التيار الفكري متعددين ومتنوعين في أساليبهم وأهدافهم، فإن ثيودور و. أدورنو هو واحد من أشهر هذه الشخصيات الفكرية. لهذا تبوّأه الباحثة مكانة مهمة معتمدة على العديد من كتاباته؛ إذ تسعى إلى العثور على نقاط التقارب مع نظريات الرعاية الاجتماعية والأخلاقية حول «رعاية الآخرين». عمل أدورنو على ترسيخ أسس ومبادئ النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، وتقديم نظرية نقدية مغايرة للمجتمع لا تكون علما إمبريقيا فحسب، بل علما اجتماعيا نقديا يحقق ما دعت إليه الطبقة الوسطى في أوروبا من أجل حق الحرية والصراع الاجتماعي والقضاء على الظلم، وألا تبقى هذه المبادئ على المستوى النظري، وإنما عليها



الفلسفية المختلفة ذات الإمكانيات الحجاجية، خصوصا داخل بيت مدرسة فرانكفورت نفسها. عبر تقديم العديد من الحجج النقدية، ومن خلال المنظورات النسوية المناهضة للرأسمالية، يجمع عمل فيراريز بذكاء بين النقد الاجتماعي والأبحاث الفلسفية. يُمكننا أيضا تقدير عملية تقديم وتحديث بعض العناصر البارزة في فكر أدورنو والعديد من المؤلفين الذين تحاوروا معه في مجتمع غربي يقوّضه تآكل المعنى المشترك للأشياء، كما يمكننا الانتباه إلى أن مدرسة فرانكفورت ما زالت أدواتها المفاهيمية قيمة باستمرار، وإجرائية بفعالية لنقد المظاهر الاجتماعية المختلفة.

لا بد من الإشارة قبل الختام إلى أن الكاتبة لم تُشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أن أدورنو أخفق في المسألة النسوية إخفاقا كبيرا؛ فعندما كان يلقي محاضراته وربما كانت الأخيرة، عن علم الجمال بجامعة فرانكفورت في ٢٢ أبريل عام ١٩٦٩ واجه احتجاجا نسوياً حاداً، بدعوى أن نظريته لنقد المجتمع الرأسمالي ودواليب هيمنته لم تكن في مستوى تطلعات الحركات الطلابية الثقافية النسوية؛ إذ لم تهبط إلى أرض الواقع، وبقيت في برجها العالي. كانت الاتهامات بالرجعية والتواطؤ كفيلا بانسحابه من المحاضرة كسيراً مهزوماً ومُحبطاً، ليموت بعدها بشهور بأزمة قلبية.

وفي النهاية، نُشير إلى أن كتابات إستيلا الأكاديمية تتسم بالجدية والجرأة على مناقشة موضوعات فلسفية واجتماعية مهمة، يُركز عملها على النظرية النقدية للأخلاق، والاعتراف، والضعف، والنسوية، ومن بين أهم أعمالها نذكر: «الأخلاق والسياسة في الفضاء العمومي انطلاقاً من هيرماس». وأشكال الحياة من البيولوجي إلى الاجتماعي، وما معنى النضال من أجل الاعتراف؟. وتشغل إستيلا فيراريز أستاذة للفلسفة الأخلاقية والسياسية بجامعة بيكاردي جول فيرن. وقد كانت أستاذة زائراً في المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية في نيويورك، وحائزة على جائزة من مؤسسة ألكسندر فون هومبولت. وهي أيضاً نائبة مدير معهد النوع الاجتماعي وترتبط بمؤسسات بحثية دولية مختلفة.

– الكتاب: «هشاشة الاهتمام بالآخرين: أدورنو والرعاية الأخلاقية».
– المؤلفة: إستيلا فيراريز.
– الناشر: منشورات ENS، ليون، فرنسا، ٢٠١٨م.
– عدد الصفحات: ١٤٩ صفحة.

* كاتب مغربي



أن تفلت من هذه المهمة، وأن تتباهى بقدر أكبر من الاستقلال. إن التنظيم الاجتماعي يديم امتيازات هذا الأخير من خلال استغلال عمل الرعاية بالآخرين وجعله من اختصاص المرأة.

وهكذا.. فإن السياق الحالي للرأسمالية المتأخرة، أصبح فيه المنطق التجاري من يتحكم في مفهوم الرعاية؛ بحيث: «لم يعد بالإمكان معرفة الوضع بطريقة ملائمة» (ص: ١٢٠). لذلك؛ من الصعب تحديد معنى الفعل الأخلاقي في السياق الرأسمالي. هذا يمكن أن يفسر، بالفعل، بالعديد من وجهات النظر حول العمل الاجتماعي، على سبيل المثال: هل هو وسيلة للتضامن أم وسيلة للتخريب الاجتماعي، أو وسيلة لاستمرار الهيمنة والإدارة غير المنتجة للآخرين؟ من الصعب تحديد معاني جميع أنشطة العمل الاجتماعي وما يترتب عليها. كما توضح المؤلفة في سياق كتابها، يجب علينا بعد ذلك النظر مع أدورنو إلى أن احتمال وقوع فعل أخلاقي بالنسبة لتنظيم اجتماعي، لا ينبغي أن يقودنا إلى القول بأنه يحدث بشكل آلي ومنهجي. لأن البحث في مجالات مختلفة من العمل الاجتماعي يدل على الرغم من ذلك على تناقضات اجتماعية لا يمكن تفسيرها بسهولة، تقول المؤلفة: «الموقف الأخلاقي يرتكز على مواجهة الانزعاج من المفارقة» (ص: ١٤٠).

أنجزت الكاتبة فيراريز كتاباً قصيراً، لكنه شديد الكثافة من الناحية المفاهيمية وغني جداً بالأطروحات التي تفند منطق وأسس الهيمنة الاجتماعية، وبأسلوب دينامي وحجائي متجدد، إلا أن فهمه الكامل يتطلب القليل من الخبرة في القراءة الفلسفية عامة. وأطروحات أدورنو خاصة. وفي الواقع هذا ليس عائقاً كبيراً، لأن الكاتبة تذلل الصعوبات من خلال عرض نقاط الانسجام والتناقض والتقاطع مع التيارات

يلتحق أدورنو ونظريات الرعاية معاً بهذا النوع من الحساسية التي تعتبر أن الفعل الأخلاقي ورعاية الآخرين لا تستند إلى تفكير مجرد وعمام، بل على ممارسة علائقية، وتأثيرات، واحترام الطبيعة في كل من الإنسان وما حوله. وبعيدا عن التأقلم التعاطفي مع احتياجات الآخرين، وهو أمر أساسي في الرعاية، يمكن أن تؤدي هذه المواقف المشتركة؛ من خلال مساهمات أدورنو ومدرسة فرانكفورت، إلى نقد العقل المؤثر والتقني الذي يشجع الإنسان بدلاً من مرافقته نحو تقدمه الشخصي والأناي. هذا السبب الفعال، والذي يعبر عنه في عصرنا بالمنطق ومؤسسات السوق والدولة، يُسهم في «تنسيق» مختلف السلوكيات في «مجتمعنا الإداري»، كما يقول أدورنو، يزداد الأفراد بفعل «برودة البرجوازية» لا مبالاة، فيبدون أقل اهتماماً وقلقا على الآخرين: «الرأسمالية لا تفعل شيئاً سوى أنها تدير منطقاً جوهرياً للعقل وعمله الدؤوب قصد الهيمنة على الطبيعة، والذي بموجبه كل شيء في الطبيعة يمكن إعادة إنتاجه، ويقترن هذا بتطور الصناعة التي تجسد وتنظم هذه القدرة على توفير الإنتاج» (ص: ٤٨).

يخفي عصرنا الحالي من الإنتاج الصناعي للسلع والخدمات، للأفراد والثقافة، معناه الخاص وكأنه مجرد «مسرحية للأشباح»، كما يقول أدورنو ورفيقه والتر بنيامين، وهذا يعني، أنه يوضع في إطار أيديولوجيات وأدوار مسرحية تعتمد على الأوهام أكثر من الحقائق الواقعية. إن امتداد هذا «المجتمع الذي يديره» السوق في نهاية المطاف يبرز السعي وراء استنزاف الطبيعة عن طريق العقل المؤثر، ومن ضمنها أيضاً: «الطبيعة البشرية» التي تنتجها العملية التاريخية والنشاط العملي الخاص بالمجتمع الرأسمالي الذي لا يعرف الشعور بالقلق والاهتمام بالآخرين الذي يؤدي منطقياً إلى الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، بل على العكس، فهو يفضي إلى اللامبالاة» (ص: ٧٣). ومع ذلك، يشير أدورنو إلى أن الجنس النسوي لديه مكان محدد ومتعدد في هذه العمليات. لأن النساء وُضعن «في قلب توسع رأس المال الذي لا نهاية له» (ص: ٨٧) ليس فقط لأنهن مستعدات لرعاية الآخرين والعمل المنزلي والأسري، ولكن أيضاً لأنهن محاطات بمنطق السوق، الذي يتحكم في ذواتهن حتى يصل إلى أشد خصوصياتهن، أكثر بكثير من الذكور. وقد منحت لهن هذه المكانة باسم فكرة وهمية تحيل على الطبيعة النسوية التي تنتجها المؤسسات الاجتماعية، لدعم «الهيمنة الذكورية». بعض النساء يجدن أنفسهن في وضع الإنهاك من خلال هذا العمل الذي يجثم عليهن بمسؤولياته الساحقة، والتي تمثل «عبئاً نفسياً هائلاً» (ص: ٩٧). وفي المقابل، يمكن للمجموعات المهيمنة



«ممنوع لا يوجد حدود»

أميرة سامي *

كتاب «ممنوع لا يوجد حدود» يتعامل على نطاق واسع ومتعدّد التخصصات حول مسألة الحدود، وبما يُسمّى بـ «مفارقة الحدود»، وعدم وجود حدود سياسية مادية مُتفق عليها، إلى جانب حدود متعددة داخل المجتمع نفسه. لقد مرّت سبعة عقود منذ إنشاء إسرائيل، ولم تكتمل بعد حدودها الداخلية والخارجية، كما أنّ الحدود الجغرافية في نزاع ثلاثي ثابت: إسرائيلية داخلية، وإسرائيلية-فلسطينية، ودولية، ومن ناحية أخرى، يتم باستمرار رسم الحدود الداخلية والاجتماعية، على أساس سنوي تقريباً، بسبب التخيرات المتكررة في بنية المجتمع والعمليات الاجتماعية السريعة. يتساءل المؤلفان هينى زوفيدة، ورعنان ليفشيزز، داخل الكتاب عن كيفية تأثير هذا على المجتمع؟ وما هي الآثار المترتبة على هذا الواقع؟

ويستعرض الكتاب الصورة المعقدة إلى حدّ ما، والتي تبين أن الحدود الخارجية والداخلية لإسرائيل قد تم تصميمها، ولا يزال يصوغها قادة الدولة والنخب الحاكمة بشكل تعسّفي، وبقوة، تجاه جيراننا في المجال الجغرافي ونحو الجماعات الأضعف في البلاد. هذه الطرق التي تميز المناطق غير مقبولة في الدول المتحضرة؛ لذلك فإنّ التحدي الرئيسي الذي يشير إليه مؤلفو المقالات - كل على طريقته - هو تصحيح الوضع عن طريق استكمال الحدود الخارجية للدولة، وإزالة الفجوات الاجتماعية والاقتصادية غير الواضحة بين المجموعات العرقية / الوطنية / الجندرية / العرقية... وغير ذلك.

ويعرض مؤلفا الكتاب طريقة بسيطة لتوضيح مشكلة المصطلح «حد الأمان»، ومحاولة العثور عليه على Google بالعبرية والإنجليزية؛ فلا يجد محرك البحث العبري تعريفاً للمصطلح. أما محرك البحث باللغة الإنجليزية أكثر إحباطاً نظراً لأن الكلمات (Secure/Security Border حدود أمان/ أمن) يتم ترجمتها تلقائياً إلى «משטרת גבולות أمن الحدود». واتضح أن محرك البحث لا يعرف كل شيء عن «حدود الأمان».

إن السبب في أن الخطاب العام والقانون الدولي لا يعترفان بـ «الحدود الأمنية»، يلمح في عرض أهميته - بين الحدود السياسية والحدود الأمنية؛ حيث يوجد تناقض لأن الأول يضع حقوقاً متساوية بين الدول ذات السيادة ويمنح الأخير سيادة الدولة الضعيفة للاحتياجات الأمنية لجارتها القوية؛ لذا من المهم الإشارة إلى أنه حتى الآن لم يعلن مسؤول فلسطيني أو مسؤول رسمي عن جدوى اتفاق الوضع النهائي القائم على الحدود الأمنية التي حددها رئيس الوزراء نتنياهو، على النقيض من تقديمها كشرط ضروري أو حقيقة مغلقة على الجانب الإسرائيلي.

توضّح الحكاية أدناه كيف أن المفهوم الذي ينعكس في مصطلح «الحدود الأمنية» فيما يتعلق بأهمية ووضع الحدود الدولية يختلف عن المفهوم المقبول للقانون والتصور في العالم الغربي:

(الجندي العامل) وهو من أكثر الناس المحبوبين في المجتمع الذي يعيش فيه، وأحد محرري رعنان (أحد قيادي عصابة الايتسيل) اعتاد الاثنان الذهاب إلى الجامعة في الصباح معاً؛ حيث عمل كلاهما واستخدم وقت السفر لمناقشة مشاكل الدولة والشعب. في إحدى المرات ناقشا مشكلة نقص المياه واقترحا الحل التالي: يجب على إسرائيل أن تضح مياه ה'נ' اللبطني بالقرب من مصب النهر إلى البحر المتوسط، لأن الماء

اختلفاً جوهرياً عن «الحدود الأمنية» التي يطالب بها نتياهو ودايان. فمعنى الحدود الأمنية هو الحدود السياسية مع الطريق الأمثل من وجهة نظر أمنية-عسكرية، والتي توفر أقصى قدر للحماية من الإرهاب. إن «الحدود الأمنية» التي اقترحها نتياهو ودايان تختلف اختلافاً جذرياً لأنها تضاف إلى الحدود السياسية، وبالتالي يفترض أنه يحق لدولة واحدة، في هذه الحالة - إسرائيل وأن تتصرف في أراضيها ذات السيادة، وأن تقوم بكل ما هو مطلوب من أجل احتياجاتها الأمنية دون مراعاة الاحتياجات السيادية المشروعة.

هذه النقطة قد لا تكون واضحة، وستتضح على الفور، إلى جانب شرط تحديد الحدود الأمنية في وادي الأردن، عرض اتفاق رئيس الوزراء نتياهو على حل الدولتين في خطاب بار إيلان وحقيقة أن نتياهو ودايان يرفضان بشكل صارم اقتراح ضم وتسوية «الوجود» الإسرائيلي في غور الأردن، ويشمل سيناريو اتفاق السلام الذي حدده نتياهو في الاقتباس أعلاه، ضمناً، دولة فلسطينية حدودها في الغرب هي الحدود السياسية الشرقية لإسرائيل في الشرق، وحدودها السياسية مع الأردن في وادي الأردن هي في الوقت نفسه الحدود الأمنية الشرقية لإسرائيل.

إنّ «الحدود الأمنية» متميزة عن الحدود السياسية، وهي في أحسن الأحوال إخضاع سيادة دولة ما لأمن جارتها، وفي أسوأ الأحوال، «تسطيح» الحدود بين الحالة القوية والضعيفة من قبل الأول أو تجاهله، كما تفعل الإمبراطوريات في العصور القديمة (انظر الفصل 3). هذا اختراع إسرائيلي غير معترف به في المعجم الجغرافي العام، والأهم من ذلك، في القانون الدولي، وهناك مجال للحجة بأن الإسرائيليين غير الراضين عن الحجة القائلة بأن «أي تسوية نهائية ستكون الحدود الأمنية لإسرائيل هي الأردن» هي معيار كافٍ.

هينى زوفيدة دكتور في العلوم السياسية وناشط اجتماعي ورئيس قسم العلوم السياسية بكلية وادي يزرعيل، وهو محاضر وباحث في مجال الهجرة والملاجئين والحركات الاجتماعية وسلوك الناخبين، ويتعامل مع البحوث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الإسرائيلي كجزء من أنشطته الاجتماعية؛ فهو عضو في اللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطي الشرقي، وجمعية «أتاريم»، التي تديرها مكتبة ليفينسكي في تل أبيب لصالح السكان المهاجرين.

يتناول الكتاب في المقدمة مفهوم الحدود: بين التجاهل واللامبالاة والاحتقار، ويذكر المؤلفان أسباب تأليف الكتاب؛ كما يلي: «لقد شعرنا منذ فترة أن فهمنا لمفهوم الحدود يختلف عن مفهوم معظمنا؛ لأننا غالباً ما نجد أنفسنا بين طوائف مختلفة بين الناس: العرب واليهود، الرجال والنساء، والسفاردية والإشكناز الذين يفسرون مفهوم الحدود ومشتقاته المختلفة بشكل مختلف عنا. على سبيل المثال: تعد حدود الدولة من المشكوك فيه، عندما يميز معظم مواطني إسرائيل (أو غيرهم) بين الحدود السياسية والحدود الأمنية، كما فعل رئيس الوزراء بنيامين نتياهو في مؤتمر هرتسليا عام 2006، في سياق اتفاقات السلام، ستكون هناك تنازلات من كلا الجانبين، ولكن ليس من جانب الأمن الإسرائيلي، والقرار المصيري المطروح علينا هو تحديد حدود الأمن لإسرائيل، التي يجب أن تشمل وادي الأردن والقدس الكبرى والأراضي التي تسيطر على منطقة دان.

ما الذي يعنيه نتياهو بـ «الحدود الأمنية»؟ إن أكثر المناقشات تفصيلاً حول هذا المصطلح، على ما يبدو هي المنسوبة لعوزي دايان، وأنها حق إسرائيل في «حدود آمنة» وعد بها رسمياً كل مرشح لرئاسة الولايات المتحدة وأيضاً بعض الرؤساء، ومن جانب حركة حماس أيضاً، ومن الواضح أن هذه «الحدود الآمنة» حق إسرائيل (مثل أي دولة أخرى) بالنسبة لهم، لا يخضع لنزاع ويختلف



كبيرا من الحدود الداخلية (على حد تعبير الرئيس ريفلين وعالم الاجتماع غادي ياتسيف، كما يلي: دينية مقابل علمانية، اليهود مقابل العرب، أشكنازيم مقابل مزراحيم، فقراء مقابل أغنياء... إلخ).

استعرض أنيتا شابيرا «الحدود كمجاز في الثقافة الإسرائيلية»، وناقش تداعيات ومفاهيم حدود أرض إسرائيل في الثقافة اليهودية من الأزمنة التوراتية حتى يومنا هذا؛ بينما تناول نبلي فازنا: الحدود والأرقام في الكتاب المقدس. من أجل التمييز بين المفاهيم ودحض الحجة المقبولة أن مفهوم الحدود يرتبط بمفهوم الجنسية، استناداً لتحليل نصي للكتاب المقدس ووثائق من العصور القديمة في الشرق الأدنى القديم. بينما استعرض آفي شيلون تصورات دافيد بن غوريون للحدود، أما آرييه ناور فتناول حدود الدولة اليهودية في نظر زئيف جابوتنسكي. بينما ذكر جدعون بيجر حدود أرض إسرائيل-فلسطين في السنوات التي سبقت إقامة الدولة. وأن تاريخ ما قبل حرب الاستقلال، كانت أرض إسرائيل (أو الأراضي المقدسة) تفتقر إلى الحدود الواضحة، بينما شاؤول أريئيلي قدم الاعتبارات لإقامة حدود سياسية في أرض إسرائيل بعد إنشاء الدولة، وتناول موشيه عميراف القدس: مدينة بلا حدود. وتحدث رعانان ليفشتر عن شروط استكمال الحدود الدائمة، بينما تحدث حجي هوبرمان عن الحدود عندما تتعدى الحدود. وتناول رينان بيزارسكي «الحد الفاصل في التوعية العامة في إسرائيل من نقطة تفتيش أمنية مؤقتة إلى الحدود الجيوسياسية». وتحدث موتي جيبي عن العلاقات بين مدن التطوير والكيبوتسات: المكان والوضع والهوية، حالة سديروت - شعار هنيغيف. وتناولت آديا مندلسون ماعوز: حدود ومناطق الشفق في الرواية العبرية للانتفاضة. ووفقاً لمندلسون ماعوز، فإن الخط الأخضر هو خط حدودي مؤقت يميز بين دولة إسرائيل و«منطقة الشفق».

واختتم هيني زوفيدة ورعانان ليفشيزز بأن القاسم المشترك الموجود هو الحدود الخارجية والداخلية لإسرائيل تم تصورها من قبل آباء الصهيونية وشكلها قادتتها بشكل تعسفي وبقوة تجاه المجموعات الأضعف في البلاد ومحيطها، وأن التحدي الرئيسي الذي يواجه قادة البلاد هو تصحيح الوضع من خلال استكمال حدودها الخارجية والقضاء على عدم وضوح الضجوات الاجتماعية والاقتصادية بين الجماعات العرقية التي تميز حدودها الداخلية.

- الكتاب: «ممنوع لا يوجد حدود».

- المؤلف: تأليف جماعي بتحرير هيني زوفيدة، ورعانان ليفشيزز.

- الناشر: يديعوت سفاريم، 2017م، باللغة العبرية.

- عدد الصفحات: 121 صفحة.

* أكاديمية مصرية



إنَّ التباين بين الجهل الفوقي في الخطاب العام الإسرائيلي والوضع الواقعي فيما يتعلق بالقواعد والممارسات العرفية في تحديد الحدود بين الدول يوجي بثلاثة أسئلة: (١) ما هي العوامل التي عززت «قواعد السلامة الإقليمية» على حساب «حق الاحتلال» بعد الحرب العالمية الثانية؟ (٢) ما هو تفسير الجهل في الخطاب الإسرائيلي حول هذا التغيير؟ (٣) ما هي المعاني العملية بشكل رئيسي لهذه المسألة؟

السؤال الذي يطرح نفسه عن الطرق المختلفة جداً تجاه نوعي الحدود في الخطاب العام والمحلي هو ما أهمية الحدود السياسية في الثقافة الإسرائيلية؟ هل هو خط من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) على الخريطة، أسود، أزرق أو أخضر، سميك أو نحيف، هل يمكن للمرء التجاهل إذا كان الطلب «الحالة» تخص «الاحتياجات الأمنية» كما قال (الجندي العامل) هل يمكن إعادة التعريف بحكم الواقع، كما يتضح من رد الوزير بينيت على الادعاء بأن العالم لن يوافق على ضم الأراضي في يهودا والسامرة: نعم، لكنه سوف يعتاد عليها، تماماً كما لم يعترف بضم الأحياء في القدس الشرقية والجولان، ومع مرور الوقت اعتاد على أنها لن.

إنَّ أي منطقة خارج الحدود الدولية لإسرائيل وخطوط وقف إطلاق النار التي أنشئت في نهاية حرب الاستقلال تعتبر محتلة، وضمها من جانب واحد أمر مستحيل لأن ضم الأراضي بالقوة غير قانوني وغير مقبول حالياً، تحت أي ظرف من الظروف، واحتمال ضئيل أن يتغير هذا الوضع في المستقبل.

لقد ناقشنا حتى الآن الحدود الخارجية للدولة الموجودة في الحيز السياسي-المادي. بينما تناقش الفصول الستة وعشرون من الكتاب مفارقة الحدود الإسرائيلية من ناحية، والحدود السياسية للدولة غير المكتملة الحدود مع لبنان وسوريا والفلسطينيين، التي لا تزال غير مُتفق عليها، ومن ناحية أخرى ينقسم المجتمع من الداخل إلى قبائل أو قطاعات، والذي يضم عددا

الذي يسكب بالفعل في البحر يهدر المياه. يتساءل رعانان ما هو الحق في حل مشكلة نقص المياه في إسرائيل بمساعدة نهر الليطاني إلى ما وراء الحدود الدولية في لبنان؟ أجاب (الجندي العامل) عن شيء من هذا القبيل: «لبنان ليس في الحقيقة بلداً؛ كل مجتمع له جيشه الخاص، والجيش اللبناني ليس في الحقيقة جيشاً، والحكومة ليست قادرة حقاً على الحكم». تؤكد أن (الجندي العامل) هو شخص نموذجي ملتزم بالقانون، ولكن (الجندي العامل) إسرائيلي، وعلى هذا النحو لا يعترف بالحدود، لا سيما الحدود الدولية مع الدول العربية، في رأيه، يمكن تجاهلها لصالح حل «الاحتياجات القومية» (تذكر حدود الأمن؟).

الحوار مع (الجندي العامل) شحذ انتباه رعانان (أحد قيادي عصابة الايتسيل) إلى الخطاب العام حول الحدود وتوصل لاحقاً إلى الاستنتاجات التالية:

١- يتم وضع موقف (الجندي العامل) تجاه الحدود الدولية في الخطاب العام الإسرائيلي على مقياس التجاهل والتناقض من جانب واحد وعدم المبالاة والاحتقار للآخر. (الجندي العامل) ليس غريباً لكنه يمثل معظم الإسرائيليين، وهي حقيقة إلى حد ما بالنظر للتمييز في القرى الفلسطينية بين أصحاب الأراضي المختلفين، لقد اخترنا ذكر أحفاد الأولياء الأوليين الذين ولدوا في أرض إسرائيل، أي كمؤشر رمزي اجتماعي يفصل بين مجموعتين: أولئك الذين ولدوا هنا (اليهود «الجدد») وأولئك الذين بقوا هناك («اليهود» في الشتات).

٢- هناك سمتان بارزتان لخطاب حدود (الجندي العامل) وأمثاله هم العدوان والجهل. ويتجلى هذا العدوان من خلال اقتراح لرفع نهر الليطاني -وهو نهر في لبنان- كما لو تم التخلي عنها، وفي الخطاب العام الإسرائيلي العام، لا سيما في النقاشات السياسية على الشبكات الاجتماعية والتحدث؛ حيث يكون هذا الخطاب بسيطاً في كثير من الأحيان. إن الجهل الفوقي هو جهل فاقد الوعي، أي أن الجهل هو شخص لا يدرك أنه لا يعرف أو أنه على خطأ؛ لذلك عندما يعتقد أنه يفهم الوضع؛ فهو في الواقع خطأ.

٣- في آلاف السنين من التاريخ، تم بناء الإمبراطوريات على أرض احتلتها بالقوة على أساس قاعدة تسمى حق الاحتلال الذي أعطى للجانب الفائز الأراضي التي احتلتها. لم تعد هذه القاعدة موجودة منذ زمن بعيد -نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما تم التوقيع على اتفاقية لاهاي في عام ١٨٩٩، وتم التصديق عليها في العام ١٩٠٧. تم تضمين الاتفاقية في ميثاق الأمم المتحدة في العام ١٩٤٥، وتلزم جميع الدول الأعضاء فيها بحظر أو غزو أو ضم الأراضي بالقوة. وبالتالي؛ فإنه بعد الحرب العالمية الثانية (استجابة لإصرار هتلر على استخدام القوة) تغيرت المفاهيم الحدودية للقوة بشكل كبير ولم يدرك القادة أن القاعدة السائدة اليوم هي السلامة الإقليمية، والزعماء الذين لم يدركوا أن القاعدة السائدة اليوم هي سلامة الأراضي التي لها ثمن باهظ.



«الرأسمالية ونظام الطبقات الطائفية

في المجتمع الهندي».. لقيه. إيه

فيلاپوراتو عبد الكبير *

نظام الطبقات الطائفية في المجتمع الهندوسي مُعقد. هذه الطبقات التي تشكلت منذ وصول الآريين في الهند لا تزال قائمة إلى الآن. وإزالتها صعبة جداً؛ لأنها تقسيمات أبدية من خلق الله كما يعتقدون. تحتل البراهمة منهم بأعلى درجة، وهم الذين خلقهم الإله «براهما» من فمه. وتشمل هذه الطائفة الرهبان والملوك والكهان والقضاة. وتليهم فئة تسمى «كشاثرييا» ممن خلقهم الإله من ذراعيه، وهم الجنود الذين يحملون السلاح للدفاع عن المجتمع، والثالث منهم في الدرجة يسمى «فيشيا»، وهم التجار الذين خلقهم الإله من فخذة. والطائفة التي بأدنى درجة تسمى «شودرا» الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم المنبوذون، لا يجوز لهم الاقتراب من الطوائف الثلاث المذكور أعلاها.. عليهم الالتزام بمسافة محددة إذا وقفوا أمامهم؛ لأنهم يُعتبرون نجسا، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الشريفة الذين سبق ذكرها، ويمتهنون المهن الحقيرة والقدرة.

الطبقات الأربع المذكورة أعلاه، تُعرف باسم «فارنا»، هي الطبقات الرئيسية. أما الذين ينتمون إلى الطبقة الرابعة السفلى «شودرا»، والمعروفون عموماً بالمنبوذين، فقد انشقت منهم آلاف من الطبقات. ويقال إن الطبقات الرئيسية منهم بلغ عددها ٢٥٠٠٠، بينما وصل عدد الفروع منها إلى ٣٠٠٠٠. وفي الفقه الهندوسي القديم «مانو سمريتي»، نرى إلههم «بهجفان» يقول إن هذا النظام مبني على إرادتي الخاصة لا دخل فيه لأحد. ولهذا السبب ذاته، يقال إن استئصال هذا النظام ليس بسهل المنال. وينقل بانبي الدستور الهندي «أمبيدكار» في كتابه «استئصال الطبقات الطائفية» حادثة حدثت في أبريل عام ١٩٣٦، في محافظة «شكفارا» في ولاية «راجستان»، أن أحد المنبوذين لما عاد من رحلة طويلة خارج بلده أعد مأدبة لأهاليه حسب عاداتهم المتبعة، وكان من ضمن الأطعمة المقدمة للضيوف سمن. أغاظ عمله هذا الطبقات العليا في الديرة. فجاؤوا جماعة يحملون عصياً وانهالوا عليهم ضرباً فطردوهم من تلك المائدة. لأنَّ السمن كان من الترف الممنوع للمنبوذين لا يُسمح لهم بأكله.

صدورهن، والزواج بين هذه الطوائف أيضاً ممنوع. وعموماً لا يتزوج بعضهم بعضاً. وفي كيرالا يتزوج البراهمة نساءً من طائفة «نايار» ذات درجة سفلى إلا أن الأولاد منهم لا يستحقون الوراثة من آبائهم. أما الرجال من طائفة «نايار» فلا يجوز لهم نكاح بنات البراهمة. والظريف أن هناك حيلة من مراسيم دينية يتم بموجبها ترقية بنات من طائفة «ناير» إلى بنات براهمة. وهي أن تدخل في فم بقرة مصنوعة من الذهب وسط أذكار وتلاوة آيات من كتبهم المقدسة، وأن تخرج من فرجها. وهكذا تبدلت المثلثة السينمائية المشهورة «شري لاتا» إلى امرأة برهمة كما يقول الكاتب. وهذه الحيلة غير صالحة بالنسبة إلى طوائف أخرى مثل «تيا» و«بولايا» و«باريا» وغيرها بدرجات أقل.

وهذا الكتاب يحتوي تاريخ النظام المذكور، وحالاته ومآلاته عبر القرون. يعتقد الكاتب أن المجتمع الطبقي في الهند إنما تشكل بعد الحروب التي دارت بين القبائل المحلية والقبائل الآريين المستوطنين، وبعد أن تطورت الزراعة في نطاق واسع وبدأ استخدام الحديد. وهذه الظروف هي التي ربما قادت

الحقيقة المرة أن الآثار الذهنية التطبيقية لا تزال موجودة بعد ثمانين حُقب من حادثة «شكفارا» المذكور أعلاه. قبل فترة اضطرت المحكمة العليا في ولاية «كارناداكا» إلى التدخل لوقف تقليد يتدرج بموجبه تبركا بعض المنبوذين في أوراق موز يتركها البراهمة بعد أن أكلوا الأطعمة المقدمة لهم فيها. وفي الآونة الأخيرة، قال المخرج السينمائي التاميلي «با رنجيت» في مقابلة إنّه لم يقص شعره في محل حلاقة في بلده ولو مرة، وأن الشارع الذي يسكن قربه لا يُخيل له شارع. وهو ينتمي إلى طائفة «باريا» التي تعتبر ذات درجة أدنى. وكذلك اعترف الروائي في لغة ملايالم من الجيل الجديد «هاريش» -وهو من الطبقة العليا- بأن الطائفية هاجس راسخة الجذور في لاوعي (Subconscious) المجتمع الهندي لا يستطيع أحد النجاة منه حتى هو نفسه لا يستثنى منه، رغم أنه ليس بتقي ولا مؤمناً بأي دين بمعنى الكلمة، الخروج من هذا النظام تحد كبير. وفي ولاية كيرالا في القرن التاسع عشر، كانت تُفرض الضريبة على من يربي الشارب من المنبوذين، كما تُفرض ضريبة الندي على نساءهم اللاتي يغطين

كما كانت هناك تقاليد كثيرة فاسدة وغير إنسانية ترتبط بنظام الطبقات.. على سبيل المثال: في القرن التاسع عشر كان هؤلاء المنبوذون في كيرالا يُمنع عليهم المشي في الشارع العام والدخول في المعابد، كان عليهم الالتزام بمسافة محددة إذا لاقوا أحداً من الطبقة العليا في طريقهم. وفي حالة تجاوز تلك الحدود المحددة، يجب على الآخر أن يغتسل، ولا يجوز له أن يتناول أي طعام قبل أن يغتسل؛ لأن المنبوذ كان يُعتبر نجسا. المجوهرات الذهبية والفضية كانت ممنوعة على نساء المنبوذين، بل يجب عليهن أن يفتحن صدورهن بدون لباس، وكانت تُفرض عليهن ضريبة الأتداء إن غطين صدورهن. وأطفالهم كانوا لا تجوز لهم المجالسة في المدارس مع الأطفال من الطبقة العليا.

التمييزات الناتجة عن هذا النظام الخبيث -مثل «لا مساس»، والإقصاء- قد قضى عليها القطار وجهود المصلحين بين الهندوس أمثال غاندي وفيضيكاناندا، ولو لم تنقش تماماً من المجتمع الهندي. صحيح أن أحداً لا يستطيع الآن السفر في القطار أو الباصات العامة متمسكا بهذه التقاليد البالية، ولكن من



في الهند؛ فكثير من الإقطاعيين من الطبقات العليا أصبحوا رأسماليين، واستمروا في استغلال الفئات المهمشة من المنبوذين في المجتمع. وهكذا كانت ولادة الرأسمالية الهندية في شكل مشوه، وكان نموها مرتبطاً بنظام الطبقات الطائفية. ونظام الإنتاج والتوزيع المتعلق بالرأسمالية أتى في حيز الوجود دون أن تُبدل معدلات الطبقات الاجتماعية الموجودة في الهند منذ فترة طويلة. ويبدو أن هدف الكتاب هو الدفاع عن التهمة المنسوبة من أصحاب دراسات التابع إلى الأحزاب الشيوعية في الهند بأنها قد فشلت في مخاطبة معاناة الفئات المهمشة والمنبوذين؛ حيث ركزت جل جهودها في نظرية الصراع بين طبقتي البرجوازية والبروليتارية، وهي تزعم أن مشاكل جميع المضطهدين -بمن فيهم الفئات التابعة- سيتم حلها بحتمية تغلب البروليتارية على استغلال الطبقة البرجوازية، وأن سياسة الهوية ستؤدي لتدهور السياسة الطبقية التي تتبناها النظرية الشيوعية. ورأى على هذه التهمة، ينقل ما ورد في كتاب «الرأسمال» لماركس عن الطبقات الاجتماعية في «المجتمعات الآسيوية»، وبعض قرارات الحزب عن معاناة تلك الطبقات. ويرى ماركس أن نظام الطبقات الطائفية نشأ في ظروف تاريخية خاصة، ثم تطورت كأساس لروابط الإنتاج في المجتمع، ومن ثم تحول إلى قانون اجتماعي يعرقل النمو في المجتمعات في الهند. وصحيح أن في كتاب ماركس «الرأسمال» إشارات لنظام الطبقات الطائفية، لكن آراء ماركس هذه في الحقيقة ليست إلا أقوالاً عارضة. وموقف الحزب من الطبقات الطائفية كان سلبياً؛ حيث لم يعرأه أدنى اهتمام في برامجها في مرحلته الأولى. ويعترف بهذا كثير من اليساريين بمن فيهم بعض الشيوعيين أنفسهم مثل المخرج السينمائي «التاميلي» المذكور أعلاه. ويمكن القول إن هذا الكتاب دليل على بدء الحزب الشيوعي الهندي في إعادة النظر في موقفه من نظام الطبقات الطائفية حين اشتد بين المنبوذين شعور سياسة الهوية وبدأوا يتجمعون سياسياً.

- الكتاب: «الرأسمالية ونظام الطبقات الطائفية في الهند».
- المؤلف: K. A. venu Gopa.
- الناشر: تيرو فاناثابورام، كيرالا، الهند، باللغة مالايالام، 2018م.
- عدد الصفحات: 140 صفحة.

* مستعرب هندي



مختار من الخالق لا يجوز تلوين دماهم الزرقاء بدماء غيرهم «الذنس». الطريقة الوحيدة للنجاة من قبضة نظام الطبقات هي تبديل الديانة، ولذلك اعتنق «أمبيدكار» (1906-1986) باني الدستور الهندي وأحد قادة استقلال البلاد الديانة البوذية مع آلاف من أتباعه، وخلال فترة ما قبل الاستقلال وبعده اتخذ كثير من المنبوذين هذه الطريقة ليدخل بعضهم المسيحية، بينما البعض الآخر اختار الإسلام، وفي العام 1981 حادثة التبديل الديني الجماعي إلى الإسلام في قرية «ميناكشيبورام» في تاميل نادو أثار ضجة كبيرة في الهند. وجمع غفير من المنبوذين دخلوا الإسلام لتحسين حالتهم الاجتماعية. والكتاب محاولة من جانب الكاتب لتحليل النظام الطائفي هذا من خلال منظور ماركسي. يلقي الكاتب الضوء على طبيعة الصراع الطبقي المبني على النظام الطائفي العنصري في الحقبة الإقطاعية في الهند، ويحاول أن يكشف عن أشجع صور الاستغلال التي قام بها الإقطاعيون بالتعاون مع الطبقة العليا من البراهمة والرهبان. ويقول: إن الرأسمالية في الهند، وإن كانت تجاوزت مرحلتها طفولتها ومراهقتها خلال النظام الاقتصادي والاجتماعي الكولونولي، فقد حصل نموها خلال فترة النظام العالمي الاستعماري. لذلك، لم تستطع مقاومة الاستعمارية في شكلها التام، ولا تنفيذ المشروع الإصلاحي الزراعي في شكل ثوري.. الوسائل الإدارية والنظام القانوني التي استخدمها البرجوازي الهندي إنما كانت من موروث الاستعمار البريطاني. وفي البداية كان للرأسمالية البريطانية نفوذ كبير في تطور الرأسمالية الهندية. إلا أنها لم تستطع الضرب القاطع على الإقطاعية

إلى تشكيل نظام الطبقات الأربع المذكور أعلاها. وكان «الآريون» في عصر الكتب المقدسة الهندوسية الذين دخلوا الهند عن طريق «بانجاب»، إنما بدأوا أن ينتقلوا إلى شواطئ نهر «جانجا» كان منذ عام 1500 قبل الميلاد، ولم يوجد بينهم في ذلك العهد إلا ثلاث طبقات؛ يعني: الطبقة الأصلية المعروفة باسم «رجانيا» وطبقة «البراهمة» من الرهبان وعامة الناس المعروفة باسم «فيس». وبعد تطور الزراعة وارتباط توزيع الأعمال والاستغلال الطبقي بالممارسات الروحانية، بدأ ازدياد الطبقات تدريجياً. وفي القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد، أصبحت الهند تحت سيطرة بني «موريا». وفي كتاب «ارتهاشا ترا» الذي ألفه «كوديليا» من البراهمة ومستشار ملوك موريا، توجد تفاصيل عن الجوانب الاقتصادية والإدارية المبنية على نظام الطبقات الاجتماعية في ذلك العهد. وشهد عصر ملوك موريا ولادة ديانتين جديدتين: الديانة البوذية والديانة الجينية المبنيتين على المبادئ اللاعنافية، وهاتان الديانتان خالفتا ذبح الحيوان الجاري في طقوس البراهمة؛ مما أدى لتدهور هيمنة البراهمة. ورحبت المراكز البوذية بجميع المنبوذين إليها حتى طائفة «شانداالا» بأدنى درجة في سلم الطبقات الاجتماعية. ولكن دخول العبيد فيهما كان مشروطاً بإذن مالكيهم. كما أن الجنود لم يسمح لهم البوذا بالتحاق بجماعته؛ حيث إنّه يسبب أزمة في الحكم الملكي. ولو أن كثيراً من الفلاسفة الماديين وغير الماديين قد ظهوروا في هذه الحقبة لم يستطع أحد منهم استجداب السواد الأعظم إليهم غير بوذا. لأن المساواة كانت جزءاً من المبادئ البوذية.

ويلقي الكاتب الضوء على جهود المصلحين وأنشطة حركاتهم المبذولة ضد نظام الطبقات الاجتماعية، وسوء آثارها في المجتمع خلال الحكومة البريطانية وبعد الاستقلال. وكان منهم «جيتيبيا فوليه» (1827-1890) من ولاية «ماها راشترا»، و«راما سوامي ناير» (1879-1973)، و«شري نارايانا جورو» (1856-1928) من ولاية كيرالا. وكانت حركة فوليه وناير ذات اتجاه سياسي، بينما كانت حركة نارايانا جورو ذات اتجاه روحاني. وجدير بالذكر أن «راما سوامي» كان ملحداً غير ديني، إلا أنه كان متعاطفاً مع الإسلام؛ حيث يشجع أتباعه على أن يلحق الأيتام من المنبوذين بدار الأيتام المسلمين لإنقاذهم من العقدة الطائفية إلى الأبد، وإذا أمعنا النظر فيه نجد تشابهاً كبيراً مع النظرية الصهيونية، لأن كليهما مبني على العنصرية، ويشتركان في الاعتقاد بأنهم شعب

إصدارات عالمية جديدة

الصلة بين القيود الاقتصادية المحلية وإستراتيجية الصين الدولية التي أزعجت المنظمة العالمية للإنتاج ولها أهداف طموحة للغاية فيما يتعلق بالدور الذي يمكن أن تلعبه في إطار العولمة. الكتاب للباحثة في العلوم الاقتصادية ماري فرانسواز رونار أستاذة الاقتصاد في جامعة كليرمون-أوفيرني ورئيسة معهد بحوث الاقتصاد الصيني ومركز الدراسات والبحوث للتنمية الدولية.



– الكتاب: «سوسيولوجيا الاستهلاك».
– المؤلف: نيكولا هيربان.
– الناشر: منشورات لاديكوفيرت، فرنسا، ٢٠١٨م.
– عدد الصفحات: ١٢٨ صفحة.
نبذة مختصرة:

حين تدرس المقاربات تحليل الاستهلاك، فإن علماء الاجتماع يهتمون بأنماط حياة الأسر أكثر من حجم إنفاقهم، وأكثر من استخدام السلع المسوقة مقارنة بمنافسيهم في الأسواق، وأقل من ذلك بعقلانية التحكم بدلا من الالتزامات الاجتماعية، وأقل أيضا بتحركات الأسعار من التطلعات وخبثات الأمل لدى المستهلكين. يعتمد الاستهلاك على الدخل، ولكن بشكل جزئي فقط.

يقارن كتاب السوسيولوجي نيكولا هيربان ممارسات المستهلك كما هو موصوف في الدراسات المونوغرافية الكلاسيكية، ويركز أيضا على الاستهلاك الجماهيري لمنتجات بعينها والنقاش الذي أثاره تفسير ذلك بين علماء الاجتماع الأوروبيين الجدد. وأخيرا، فإن الاعتماد المتبادل للمستهلكين يقود المؤلف إلى التركيز على السلع السهلة الاستعمال والتداول وتطور القيم الجماعية المتعلقة بهذه الأنواع الاستهلاكية. وفي هذا السياق يصرح الكاتب أن النظام الاجتماعي يعتمد بشكل أقل على كمية المنتجات التي يمكن الوصول إليها أكثر من الاعتماد على الاستخدامات الجماعية وأنماط الحياة التي تؤدي إلى ظهور السلع الجديدة والخدمات الجديدة للاستهلاك الجماهيري.



– الكتاب: «أرض جديدة من أجل علاقة أخرى بالعالم».
– المؤلف: دومينيك بورغ.
– الناشر: منشورات دوكلبي دوبروير، فرنسا، ٢٠١٨م.



– الكتاب: «الدرزي الأول».
– المؤلف: مجلي وهبي.
– الناشر: يديعوت سفاريم، أغسطس ٢٠١٨م.
– عدد الصفحات: ٢٦٤ صفحة.
نبذة مختصرة:

مجلي وهبي هو عضو الكنيست عن الليكود وحزب كاديفا في الكنيست. يشرح مجلي وهبي في هذا الكتاب قصته وقصة عائلته وجذورها في جبل الدرزي، والتي تعكس تاريخ المجتمع الدرزي بأكمله، بدءا من الاضطهاد والترحيل إلى أن استقروا على الجبل والتشبث به مثل بقية العائلات وقد جند أبناء وهبي للنضال من أجل استقلال سوريا وتحريرها من العثمانيين الذين حكموها لمدة ٤٠٠ عام. كما حاربوا التفويض الفرنسي خلال الثورة الدرزية في العام ١٩٢٥، وفي العام ١٩٤٨ استقرت العائلة في بيت جن وهي قرية درزية تقع ضمن أراضي الجليل الأعلى، وتقع إداريا في المنطقة الشمالية شمال إسرائيل.

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)



– الكتاب: «اقتصاد الصين».
– المؤلفة: ماري فرانسواز رونار.
– الناشر: منشورات لاديكوفيرت، فرنسا، ٢٠١٨م.
– عدد الصفحات: ١٢٨ صفحة.
نبذة مختصرة:

بفضل الإصلاحات التي بدأت منذ عام ١٩٧٨، نمت الصين بسرعة كبيرة، مما سمح لها بالخروج من الفقر المدقع، فأصبحت خلال فترة قصيرة واحدة من المساهمين الرئيسيين في الاقتصاد العالمي. لكن هذا النمو صاحبه اختلالات قوية ومظاهر عديدة من عدم المساواة في النمو. بعد أن أصبحت الصين دولة متوسطة الدخل، تواجه الآن قضايا أكثر إستراتيجية لأن الاستقرار السياسي يرتبط بتطور الاقتصاد.

ويهدف كتاب ماري فرانسواز رونار إلى شرح أساليب النمو الصيني، وتطور بنية اقتصاده والعقبات التي يجب التغلب عليها، لا سيما فيما يتعلق بالبيئة والاستقرار الاجتماعي. ويؤكد المؤلف أيضا على

آخر الإصدارات في اللغة العبرية (أميرة سامي)



– الكتاب: «الأنظمة الرقمية».
– المؤلف: يشع سيفان وراز هيفيرمان.
– الناشر: ventures.i8، أغسطس ٢٠١٨م.
– عدد الصفحات: ٢٩٤ صفحة.
نبذة مختصرة:

يُقدم المؤلفان في هذا الكتاب دليلاً للمسافر في رحلة التحول الرقمي بصورة حديثة ومُعَمِّقة لأحد أهم القضايا المتعلقة بالمنظمات في هذا العصر، وهي قضية التحول الرقمي؛ حيث تؤثر هذه العملية على جميع أنواع المؤسسات الكبيرة والصغيرة والمحلية والعالمية والخاصة والعامّة، وتغير المنتجات أو الخدمات التي تنتجها، والطريقة التي يمارسون ويديرون بها الأعمال والعلاقات مع عملائهم، والأعمال الداخلية والخارجية، كما يوضح المؤلفان في هذا الكتاب لماذا يتعين على قادة المنظمات الاعتراف بالقدرة الرقمية والسيطرة عليها؟



– الكتاب: «٢١ خاطرة حول القرن ٢١».
– المؤلف: يوفال نوح هراري.
– الناشر: كينيريت زمورا، أغسطس ٢٠١٨م.
– عدد الصفحات: ٣٥٢ صفحة.
نبذة مختصرة:

«تاريخ موجز للإنسانية».. كان كتابًا عن الماضي، وكان «تاريخ الغد» كتابًا عن المستقبل الآن يأتي دور الحاضر، كتاب «٢١ خاطرة حول القرن ٢١» هو عن الحاضر يدور حول الثورات، والحجج والشكوك والمخاطر والفرص المتاحة في الوقت الراهن.

في هذا الكتاب، يوجه يوفال نوح هراري مشروط جراحه الحاد إلى قضايا معقدة مألوفة لكل قارئ مثل الهجرة، والتكنولوجيا، والعمل، والإرهاب، والبيئة، والسياسة ومحاولة دراسة هذه الموضوعات بشكل منطقي.

البروفيسور يوفال نوح هراري محاضر في قسم التاريخ في الجامعة العبرية في القدس. وهو متخصص في تاريخ العصور الوسطى والتاريخ العسكري وتاريخ العالم، وقد ترجم كتابيه تاريخ البشرية، وتاريخ الغد إلى أكثر من خمسين لغة؟

إصدارات عالمية جديدة

– مؤلفا الكتاب: Dean Cocking, Jeroen Van den Hoven

الناشر: Wiley-Blackwell، ٢٠١٨م.

نبذة مختصرة:

شأن الشبكة العنكبوتية بشأن القمر: لها وجه مضيء يتمثل في ثورة المعرفة والتواصل التي حققتها، ولها وجه مظلم يتمثل في مقدار الجريمة والإرهاب والانحراف الذي تعج به. هذا الكتاب يركز على الوجه المظلم لشبكة الإنترنت. يستفيد هذا الوجه المظلم من العزلة التي يحققها الإنترنت لكي يحض على اقتراف الشر. والكتاب أول تحليل جامع للشر ولبعده غير الأخلاقي في صلة بحياتنا الافتراضية المتنامية على شبكة الإنترنت. وتقدم فصول الكتاب الأفكار المتوارثة عن ظاهرة الشر في الفلسفة الأخلاقية، وتبين إلى أي مدى أمسى تنامي الإقبال على الإنترنت يشكل تحديات غير مسبوقه للنظريات التي تحاول فهم الشر وأصله ودوافعه وآلياته.



– الكتاب: «اقتراحات فلسفية من أجل الجامعة (نحو فلسفة للتعليم العالي)».

– المؤلف: كتاب جماعي من تنسيق Aaron Stoller, Eli Kramer

– الناشر: Palgrave Macmillan، ٢٠١٨م.

نبذة مختصرة:

اهتم الفلاسفة دوماً بشأن الجامعة، وألقوا في ذلك المحاضرات: من هيجل إلى دريدا. تكمن ميزة هذا الكتاب في أنه يطلعنا على آخر أنظار الفلاسفة وتصوراتهم لما ينبغي أن تكون عليه الجامعة والتعليم الجامعي. فهو من هذه الناحية كتاب جامع جمع بين دفتيه العديد من النصوص الأساسية وشبه المفقودة التي تضم رؤى نظرية ونقدية لزمرة من الفلاسفة المعاصرين من مختلف المشارب الفلسفية والبلدان (أغلبهم غير معروف في العالم العربي) حول أهداف وسياسات وبنيات الجامعة، كما يشهد الكتاب على تنوع في مقاربات الفلاسفة: ما بين مقالات تحليلية ونقدية وشهادات وخراسات تجارب.

تجارب أكثر حول العالم؟ وإذا كانت البنى التحتية للنقل والاتصالات تعزو بينتنا، فهل هناك عالم واحد فقط يمكن تجربته؟ يحاول كتاب كيفين كابيلى الذي اختير ضمن اللائحة القصيرة لجائزة الفلسفة لتلاميذ الثانويات أن يؤكد أنّ اكتساب تجارب العالم يفترض الحرية في التحرك بالوسائل المذهلة المتوفرة اليوم، لكن للأسف مازال الإنسان المعاصر مقيدا بشتى القيود لأجل إبقائه في مربعه والاكتفاء بإيصال الوجه الترفيهي من العالم إليه، دون فتح الفضاء العالم للتواصل الثقافي والإنساني الحقيقي.

آخر الإصدارات في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)



– الكتاب: «فلسفة الطب (مدخل)».

– المؤلف: R. Paul Thompson, Ross E.G. Upshur

– الناشر: Routledge، ٢٠١٨م.

نبذة مختصرة:

أمسى لكل مجال فلسفته من الفيزياء إلى الموسيقى، ومن الهندسة إلى الرقص، ومن الكيمياء إلى السينما... وما كان الطب بدعا من هذا. يحاول هذا الكتاب الجواب عن الأسئلة التالية: أي نوع من المعرفة هي المعرفة الطبية؟ هل يمكن تفسير الطب التفسير العلمي الصرف؟ وهل الداء مفهوم علمي أم أن تفاسير الداء تكون تابعة للقيم؟ وهل تقودنا الاكتشافات المذهلة في علم الأعصاب إلى فهم علمي للذهن البشري وكيفية اشتغاله؟ تتناول فلسفة الطب كل الأسئلة التي مدارها على التفسير والتعليل والمعرفة، ويسعى هذا الكتاب إلى أن يقدم أجوبة بمثابة مدخل إلى هذه الفلسفة.



– الكتاب: «الشر على شبكة الإنترنت».

– عدد الصفحات: ٢٤٠ صفحة.
نبذة مختصرة:

أصبحت الحضارة المعاصرة مادية صرفة لدرجة أنها آخذة في تدمير، وبشكل متناقض لقواعدها المادية، أي موارد ومصادر الحياة المشتركة، ويحدث هذا بلامبالاة عامة تقريبا. لماذا وصل الإنسان المعاصر إلى هذا الوضع؟ كيف أمكنه اختراع هذه القدرة الفريدة على التدمير؟

يحاول الفيلسوف المتميز دومنيك بورغ الإجابة عن هذه الأسئلة انطلاقا من زمن الأنثروبوسين (الذي عرف أضرارا جسيمة على البيئة لا رجعة فيها، كما يسجل التسلسل الزمني لهذه التحولات البيئية)، يسجل الكتاب أيضا التحولات الرقمية والسياسية التي فككت منظومة عيش الإنسان وحولته إلى مستهلك شره للموارد. تكشف هذه الرحلة المقلقة عن الجذور الروحية للعنف الذي نلحقه بأنفسنا وبيئتنا. الجذور الروحية التي تعتبر الحقيقة الأساسية في أي مجتمع، حيث يلتقي التجاوز السامي للذات من أجل الجماعة بالعلاقة الحميمية مع الطبيعة. والقول بهذا يؤكد أن الفكر ينبثق من العالم، ويفيض بتجلياته، لهذا فالعقل يجب أن يفتح على أشكال جديدة من العلاقة بالطبيعة من أجل إنقاذ إرث حضاري، واستحداث أرض جديدة. دومينيك بورغ هو فيلسوف ورئيس المجلس العلمي لمؤسسة هيلو. يدرس في كلية علوم الأرض والبيئة في جامعة لوزان. له أعمال مهمة منها «نحو ديموقراطية إيكولوجية» و«معجم الفكر الإيكولوجي».



– الكتاب: «تجربة العالم.. عندما تغير وسائل النقل والإعلام واقعنا».

– المؤلف: كيفين كابيلى.

– الناشر: منشورات أبوجيه، فرنسا، ٢٠١٨م.

– عدد الصفحات: ٨٤ صفحة.

نبذة مختصرة:

يفضل التقنيات الحديثة في السفر والاتصال، يبدو من الممكن حوض تجارب حول العالم؛ فبواسطة السيارة أو القطار أو الطائرة أصبح متاحا للإنسان الذهاب أبعد وأبعد وأسرع. كما توفر لنا الإذاعة والتلفزيون وأجهزة الكمبيوتر المتصلة بالويب قدراً كبيراً من الصور والأصوات التي تجعل من الممكن إدراك الأشخاص والأحداث والمناظر الطبيعية من جميع القارات. وعدم استخدام هذه الوسائل التقنية سيكون بمثابة انقطاع وعزلة عن العالم. ومع ذلك، إذا أمضينا الكثير من الوقت في المركبات الآلية أو أمام الشاشات، فهل ننال

حالياً في الأسواق.. مجلة التفاهم

عنوان العدد: تأثير الدين في حياة الأفراد والجماعات

افتتاحية العدد: الدين بوصفه مصدراً للهداية والسكينة

عبد الرحمن السالمي

مدن وثقافات

- مدينة قاشان (الموقع، المحيط وإمدادات المياه)
أطيليو بتروتشيولي

الإسلام والعالم

- الاتصالات والمعلومات في العالم الإسلامي
بيتر ماندافيل

المحاور

- الرؤية القرآنية للمجتمع الإسلامي: الإيمان والعمل الصالح - محمد المنتار
- الدين والتغيير: جدلية الفرد والجماعة في التجربة الإسلامية - أحمد سالم
- الدين والأخلاق والمعروف: التمايز والتكامل - أحمد زايد
- الأخلاق في الفكر الفلسفي الإسلامي - مهدي سعيدان
- الإيمان والحرية عند المفكرين المسلمين المحدثين - محمد الحدّاد
- المؤسسات الدينية والمهّمات الجديدة: التأثيرات الاحتسابية والاجتماعية
والعالمية - رضوان السيد
- مسألة التجربة الدينية عند الفلاسفة المحدثين - محمد الشيخ
- الديانات العالمية ومنزلة الأخلاق في لاهوتها: هانز كونغ نموذجاً - عزالدين عناية

دراسات

- السُنّة النبويّة في الخوف والأمن - سعاد الحكيم
- التفاهم بين أهل المذاهب الفقهية المعاصرة - نور الدين مختار الخادمي
- المدرسة بوصفها مؤسسة للتعليم في العصر الإسلامي الوسيط - سيبستيان
غونتر

وجهات نظر

- الأدب العربي في روسيا أمس واليوم والمستقبل - فيكتوريا زاريتوفسكايا
- التداخلية بين العلوم في التراث العربي الإسلامي وأثرها على الدرس
المصطلحي - محمد بنعمر
- سؤال إصلاح الفكر التربوي - مصطفى حصران

آفاق

- مركزية الإنسان في البناء الحضاري: رؤية المفكر مالك بن نبي - حفيظ اسليماني
- العولمة والقيم وسؤال الغايات - عزالدين العزماني
- نحو تصوّر وظيفي لتعلّم وتعليم القيم في العلوم الاجتماعية - ولاءي المصطفى
البرجاوي



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢ ، فاكس : ٩٦٨ ٢٤٦٠٥٧٩٩ +

البريد الإلكتروني : tasamoh@gmail.com - al.tafahom@gmail.com - www.altafahom.net